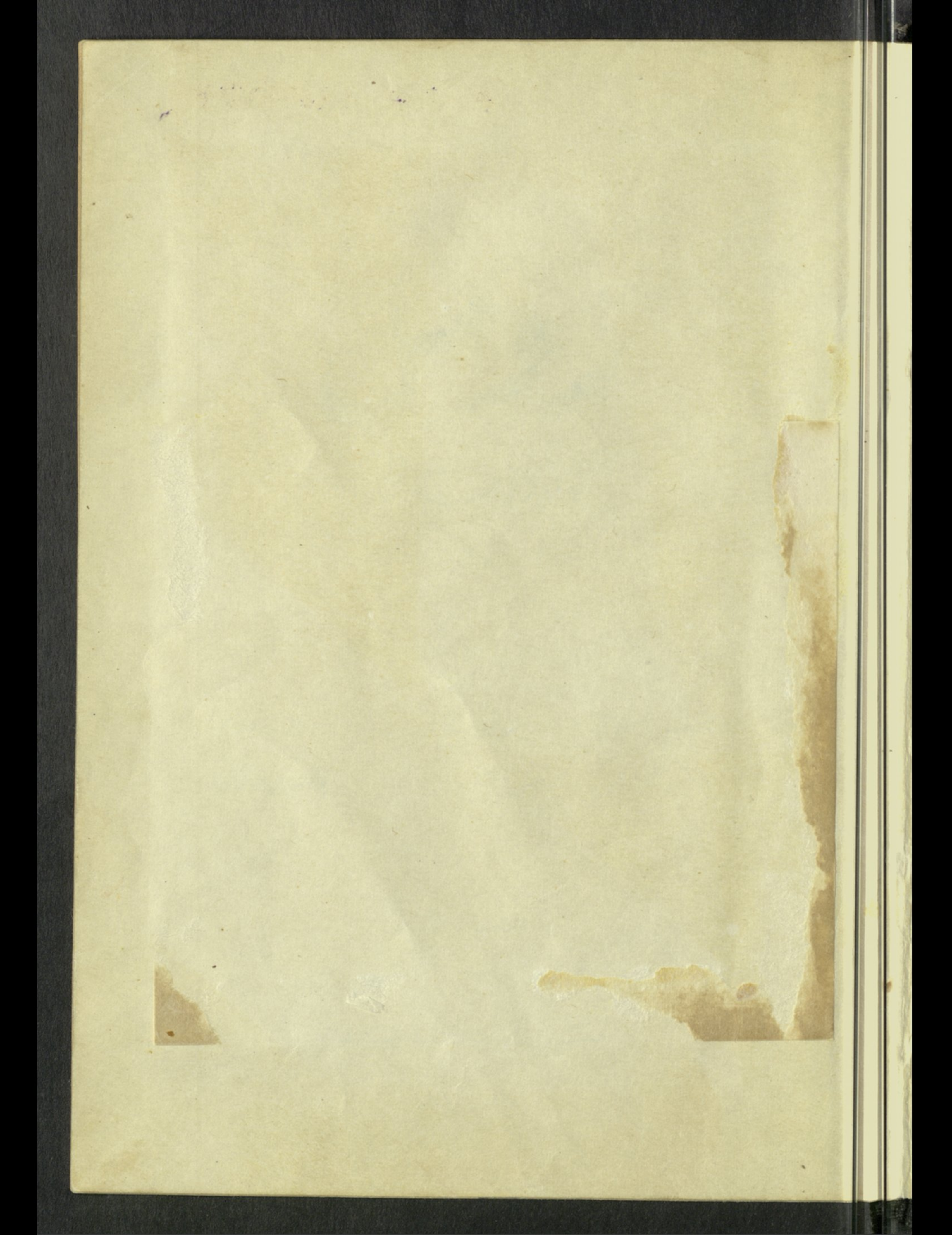
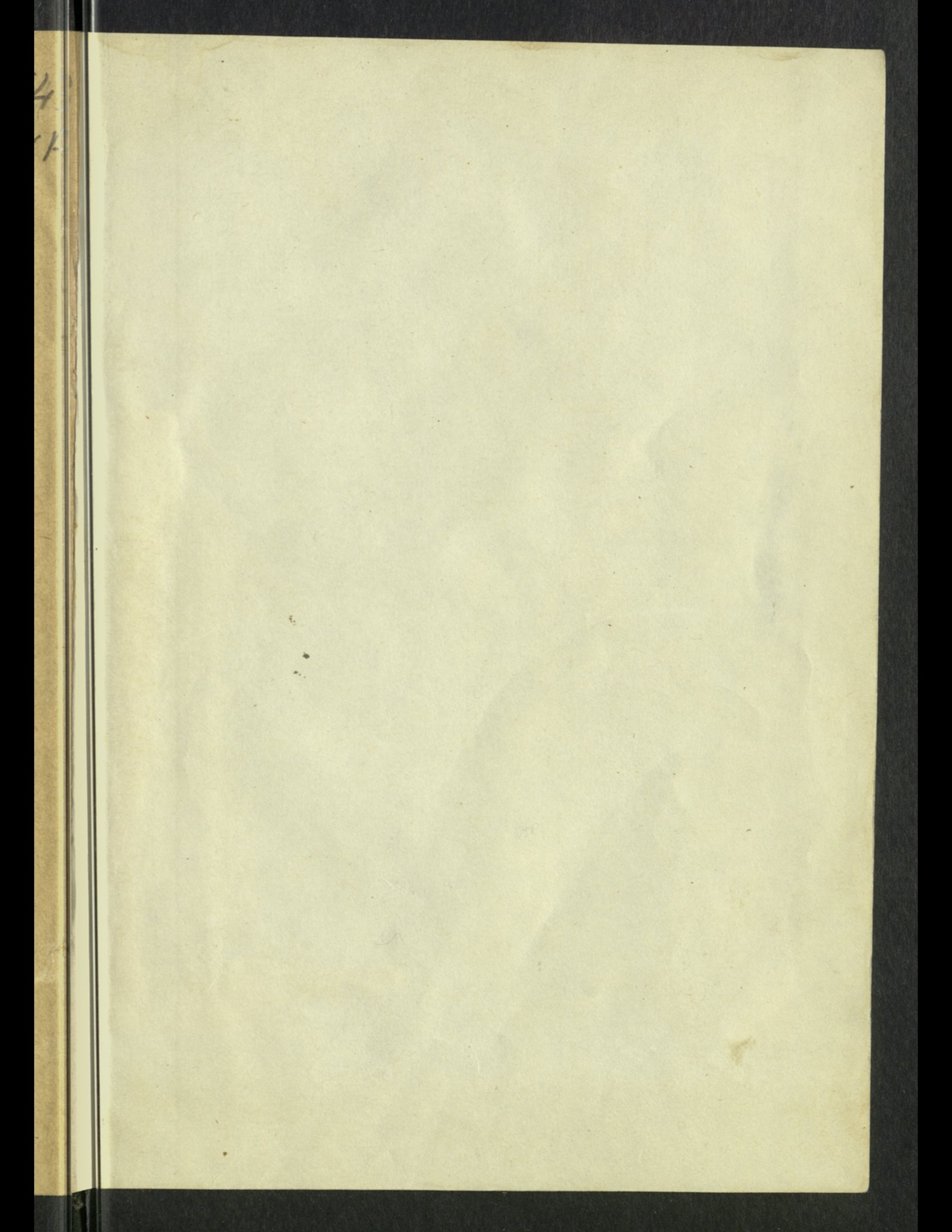
يونغ

# رومل على ابواب الشرق

A. U. B. LIBRARY





923.54
R76yA




تأليف الجنرال **ديزموند ينغ**
من اركان حرب الجيش الثامن

عربه بتصرف
**باسيل دقاق**

**الطبعة الثانية**

منشورات مكتبة بيروت

بيروت ١٩٥١

لو وجه الشرق يتبدل

لو كان للمارشال رومل ما اراد ووافقته القيادة الالمانية العليا في خططه لملك الشرق الاوسط برمته ولربما تبدل وجه التاريخ في هذه البقعة من العالم ، بقعتنا الجميلة المعذبة التي يصلبها اليهود جهاراً منذ ثلاث سنين . لقد وقف رومل على ابواب الشرق وجعل يقرعها قرعاً عنيفاً من تخوم الاسكندرية فيتردد الصدى في اطراف الاناضول والقفقاس . ولكن قيادته العليا تخلت عنه وما قدرت قيمة الشرق قدرها الحق ولا اقامة وزناً كافياً لمعركة الصحراء الغربية .

هذا ما يبينه المؤلف في كتابه هذا الى جانب تحليله شخصية رومل العسكرية الفذة . وان تكن كل هذه النواحي الحساسة تهم الشرقيين عامة فان لها شأناً خاصاً عند العرب . ويقيناً لو تابع رومل زحفه على الشرق لربما لم يكن لليهود في قلب العالم العربي اليوم دولة وصولة .

باسيل دقاق

# مقدمة

## للمرشال سير كلود اوكنلك

في هذا الكتاب رسالة رأيت من واجبي ان اوجهها الى ضباطي ايام كان اسم روميل ينتشر بين رجالنا انتشار النار في الهشيم ويتمكن من رؤوسهم ويفعل في نفوسهم فعل السحرة فيخلفهم مشدوهين امام ذكر هذا القائد العظيم . والحق يقال ان روميل كان قائداً عظيما من اولئك القادة الافذاذ . كان اعجوبة من اعاجيب عصره .

لقد انجبت المانيا قادة عسكرية افذاذاً كثيرين امتازوا بمقدرتهم العسكرية المقرونة بقسوة وتحجر مقيتين . اما رومل فكان من طينة اخرى ، وامتاز عن هؤلاء جميعاً بمرونة لا تمت بسبب الى تلك الصلابة التي اتسمت بها الروح العسكرية الالمانية . وجمع الى هذه الصفات ملكة الارتجال ونبغ فيها ايما نبوغ .

ان لرومل علي شهادة لا املك الا ان أؤديها :

كان هذا القائد سيد القادة في الميدان بلا استثناء ، عرفت فيه الثبات والعناد وقوة الشكيمة وخصب الذهن وحيوية لا يشق لها غبار .

لقد اقتصرت اتصالاتي بروميل على مقابلاتي له وللجيش الالماني في الصحراء الغربية ابان حملات ١٩٤١-١٩٤٢ . والآن وقد قرأت تاريخ حياته في سنيه الاولى والاخيرة ، اجد ان الفكرة التي كونتها لروميل اثناء تلك الايام التي حمي فيها وطيس القتال كراً وفراً بين بنغازي والاسكندرية ، تكاد لا تختلف عن فكرة واضع هذا الكتاب الا في ناحية واحدة هي اننا كنا نتصوره صورة حية للضابط الالماني التقليدي ونسخة من النسخ السوية التي تنتجها الالة العسكرية البروسية . والحقيقة ان روميل لم يكن كذلك . ولعل هذا من اكبر اسباب نجاحه في قيادة رجاله على ذلك النحو الذي شده العالم واثار اعجابنا ، نحن خصومه .

عرفت ايام اصطدامي بروميل في الصحراء ، كما عرف جميع الضباط والجنود الذين حاربوا تحت لوائي ، ظروفاً عصيبة قاسينا فيها الامرين . ولا عجب فروميل واحد من اولئك الذين لا تستطيع ان تتراخى لحظة امامهم . وما عرفت قائداً لا هم له ولا شغل نهاره وليله ، الا سحق خصمه دون ان يعرف معنى الكلل او الملل . لم يكن يدع لخصمه فرصة التنفس او ينتظر منه فرصة يتنفس فيها . نذر نفسه لفنه العسكري وصرف في سبيله كل جهده وانصب عليه بكليته . واليوم وقد ذهب روميل ، لا املك الا ان احييه تحية جندي وتحية رجل وآسف اشد الاسف لتلك النهاية المحزنة التي انتهى بها . فذلك من واجبات الفروسية ، ومن واجبات الفروسية ان تحترم خصما شجاعاً عبقرياً وتقر بحميد صفاته .

اما واضع هذا الكتاب الجنرال ديزموند يونغ فلم يأل جهداً سواء لدى اسرة روميل او لدى الرجال الذين عرفوه ، وما ترك مصدراً الا

ورده فجمع كل تفصيل ممكن عن حياة هذا القائد العظيم ومماته . والجنرال ديزموند بطل من ابطال الحرب العالمية الاولى ، غرق في حرب الصحراء الغربية حتى اذنيه ثم خانه الحظ ذات صباح فوقع اسيراً امام الغزالة حين كانت معركة الصحراء تتأرجح في يد القدر بيننا وبين الالمان . كان لي صديقاً حميما . فلما هرب من الاسر جعلته ضابطاً من ضباط اركان حربي . ولطالما تجاذبنا في دلهي الجديدة اطراف الحديث في مواضيع ومشاكل شتى . ولكننا لم نخضع قطعاً في بحث الحرب في افريقيا الشمالية وما نظرات الجنرال ديزموند في هذا الحرب الا من بنات افكاره . فهو مفكر محترم الرأي سديده بعيد النظر . وقد قرأت كتابه هذا فاعجبت به ايما اعجاب واكبرت فيه كونه وفى خصما كبيراً ، حقه .

## انتصار فهزيمة

حوالى منتصف شباط ١٩٤١ كانت اسهم الانكليز في مصر مرتفعة الى اقصى ما يتصور عقل ، وتبدلت نظرة المصريين الى «جيش النيل» الانكليزي وحل محل الشك والقلق شعور بالاطمئنان والمرح في مختلف الطبقات . ولا عجب فقد استطاع هذا الجيش في الشهرين السابقين ان يتقدم في الصحراء الغربية مسافة ثمانمائة كيلومتر ويسحق جيشاً طليانياً قوامه اربعة فيالق اي تسع فرق وقسم من فرقة عاشرة ، ويأسر مائة وثلاثين الف طلياني ويستولي على اربعمائة دبابة والف ومايتين وتسعين مدفعاً وما الى ذلك من غنائم حربية .

كان ذلك بعد ان خيل الى كثيرين ، في الصيف السابق ، انه يكفي الجيش الطلياني الجرار ان يمتطي شاحناته ليكر على القاهرة بحماية اسطوله الجوي الكبير .

ولكن هذا الانتصار الذي احرزه الجنرال ويفل في الصحراء الغربية ما لبث ان ضاع صداه في غمرة المعارك الرهيبة على الجبهة الروسية . وبعد فقد توقف الجيش البريطاني عن الزحف ولم يتابع هجومه على طرابلس الغرب ، وبقيت الجيوش الايطالية ناعمة بالامن هناك .

تلك كانت اوامر القيادة الحليفة ، وما فكرت هذه القيادة يومذاك بفتح طرابلس ولا توفرت الاسباب الكافية لحملة بعيدة النفس

كهذه ...

بعد شهرين عادت اسهم البريطانيين فهبطت في مصر والشرق الاوسط باسرع مما ارتفعت ، واخذت تتسرب اخبار الكارثة التي حلت بالانكليز في الصحراء شيئاً فشيئاً : اخلى الانكليز بنغازي وتحطمت الفرقة المصفحة الثانية الواصلة حديثاً من انكلترا ، ووقع الجنرال ماجور غامبيه بيري واركان حربه في الاسر وكسح اللواء الهندي المصفح الثالث ، وطوقت الفرقة الاوسترالية التاسعة في طبرق واسر الجنرال سير ريشارد او كونور والجنرال فيليب نيم والليوتنان كولونيل جون كومب . وتساقطت بردعه وسلوم وكابوزو تباعـــاً والتف العدو على الخطوط البريطانية المحصنة وكبر الخطر على مصر نفسها ، وجعل المصريون يفكرون بالعهد الجديد ، عهد الاحتلال الالماني — الطلياني !

لم يكن في هزيمة الجنرال ويفل سر او لغز : ابرق اليه رؤساؤه ، بعد سقوط بنغازي ، طالبين نقل القسم الاعظم مـن جيشه واسطوله الجوي من الشرق الاوسط الى اليونان لنجدتهـا . ولكن هذه القوى لم تكن كافية لانقاذ اليونان فكانت الهزيمـة محتومة في كلتا الجبهتين : الصحراء الغربية واليونان .

ولو سألت اي عابر سبيل في القاهرة في مطلع صيف ١٩٤١ عن سبب هذه الكارثة التي حلت بالانكليز في القيروان لاجابك على الفور : رومل !

## « صديقنا رومل »

الى جميع القادة واركان الحرب من مقر الجيوش الانكليزية العام في مصر وجيوش الشرق الأوسط . »

هناك خطر الفت انظاركم اليه لتتداركوه قبل فوات الاوان :
لقد رسخ في اذهان جنودنا ان صديقنا رومل ساحر من السحرة وصانع من صناع المعجزات . وحديث رومل قد بات على كل شفة ولسان . وقد حان الوقت لندرك ان هذا القائد ، وان يكن مثالا للمقدرة والنشاط ليس فوق البشر . ولا هو بصانع خوارق . بل لو سلمنا بانه كذلك ، فمن المؤسف ان يخلع عليه جنودنا حلة من القدسية والجبروت .

« من اجل هذا ارجو ان تبذلوا منتهى الجهد لتنزعوا من نفوس جنودنا هذه الصورة التي استقرت فيها للجنرال رومل . والواجب يقضي ان نحرص اشد الحرص على الا نردد اسم رومل كلما تحدثنا عن عدونا في ليبيا . فلنسم هذا العدو بالالمان او دول المحور او العدو فحسب ولنكف عن تمثل روميل في كل خطوة من خطواتنا وكل سكنة من سكناتنا .

« هذا امر ارجو ان ينفذ على الفور في صفوف الجيش جميعاً . وليعلم جميع القادة والضباط والرؤساء ان في الامر ناحية نفسية عظيمة الشأن وذات اثر عميق في قوى الجيش المعنوية . »

الجنرال اوكنليك : القائد الاعلى لجيوش الشرق الاوسط

هذا الامر اليومي الذي وجهه الجنرال اوكنليك (كان بعد جنرالا) الى ضباطه يعطيك صورة عن المكانة التي احتلها رومل في قلوب خصومه انفسهم . وتلك ظاهرة مدهشة حقاً ، وذات مغزى عميق ، فلئن يكن القائد المشهور بين جنوده درة كريمة ، فالقائد المشهور عند خصومه درة اكرم .

كان ذكر رومل مجرداً يكفي لاعاشة الاحترام والتعظيم من حوله . ولقد بلغ من شهرة رومل وجيشه ومن كثرة ما تردد اسمه على السنة مراسلي الحرب الانكليز والاميركان انفسهم ، ان اصبح رومل اشهر الوجوه وابرزها واكثرها انتشاراً بين الناس في الشرق الاوسط كله ، ونجم عن ذلك ان احس الجندي الانكليزي بمركب ضعف غريب امام جيش رومل . من ذلك انه كان يكفي لتبرير هزيمة تمنى بها وحدة من وحدات الجيوش البريطانية في الصحراء ، ان يقول افرادها : لم يكن باليد حيلة فقد اصطدمنا بالالمان » .

ومن عجب انه يصعب علينا ، رغم كل ما حيك حول رومل من قصص وروايات ، ان ندرك السر في اشتهار رومل بهذه السرعة الخاطفة مثل ما اشتهر نابليون ، سواء في اوساط العامة في مصر او في صفوف جنود المؤخرة او بين جنود خط النار .

لم تكن دوائر استخباراتنا تعرف كثيراً عن روميل ، ولقد اعتادت هذه الدوائر ان تعتمد على زميلاتها الفرنسيات في معرفة تاريخ القادة الالمان وسيرهم . فكان انهيار فرنسا في الحرب بتلك السرعة المدهشة ضربة قاضية على استعلاماتنا في هذا الباب ، اذ بقيت السجلات المتعلقة بالقادة الالمان في وزارة الحرب الفرنسية ووقعت بايدي الالمان انفسهم .

على هذا كان كل ما استطاع مكتب الحرب ان يقدمه للجنرال ويفل

واركان حربه عن رومل مـن معلومات ، انه قائد بارز ابلى بـلاء حسناً ابان الحرب العالمية الاولى ثم برز ابان الحملة على فرنسا كقائد فـرقـة . ولكنه كان بعيداً كل البعد عن قمة المجد العسكري التي تسنمها كبار القادة الالمان . واضاف مكتب الحرب الى هـذه المعلومات ان رومل نازي متعصب وانه انما اختير لقيادة الفيلق الالماني في افـريقيا الشمالية لعطف الحزب النازي عليه .

كانت هـذه الصورة التي رسمها مكتب الحرب للقيادة البريطانية عن رومل سطحية كاذبة . ولقد انتشرت روايات كثيرة مختلفة عـن اصـل رومل ونشأته وسيرته العسكرية . ومنها ما زعم انه ينتمي الى تلـك العصبة من رفاق غورنغ وهيس وروهم وبورمان ، اولئك الذين اوصلتهم الاقدار الى المناصب الرفيعة في المانيا بعد سنة ١٩١٨ ، ومنها ما ادعى ان رومل ابن فـلاح ، وانه صف ضابط خرج من الجيش ابان الحرب العالمية الاولى ، او انه كان في الشرطة ما بـين الحربين العالميتين الاولى والثانية .

اما الحقيقة فتختلف كل الاختلاف عن هـذه الروايات جميعاً : كان رومل جندياً محترفاً لم يترك الجيش الالماني منذ انخرط فيه حتى موته . وما كان طول حياته في الشرطة او في الحزب النازي او في فرقة الصاعقة النازية ، ولا تعدت عـلاقته بهتلر العلاقـة السطحية العاديـة بـين قائد ورئيس دولته .

ولد ارفين جوهانس اوجن رومل مساء يوم الاحد الخامس عشر من تشرين الثاني ١٨٩١ في هايدنهايم من اعمال فورتامبرغ القريبة من اولم . كان والده ، وقد لقب بـ « ايرفين » ، معلم مدرسة ابن معلم مدرسة . واشتهر الاب والجد بتضلعهما من الرياضيات .

تزوج والد رومل في العام ١٨٨٦ هيلينا ابنة كارل فون لوز رئيس حكومة فورتامبرغ فانجبت له خمسة اولاد : مانفريد وقد مات حدثاً ، وهيلينا التي ما تزال الى يومنا هذا تعلم في مدرسة فالدورفشهول في شتوتغارت ، وارفين رومل ، وكارل ، وجرهارت . وكارل هذا هو اليوم مقعد من آثار اصابته بالملاريا في تركيا والعراق حيث خدم طياراً ابان الحرب العالمية الاولى . اما جرهارت فقد ترك الزراعة ليشتغل مغنياً وما يزال يتابع الغناء بلا جدوى . وقد مات والد رومل في العام ١٩١٣ وتبعته امه في العام ١٩٤٠ ، سنة رشح رومل لرتبة جنرال ماجور .

كان رومل في حداثته صبياً لطيفاً طائعاً دمث الاخلاق ليس فيه شيء من الصلابة والعناد اللذين اشتهر بهما في معركة افريقيا . وقد روت لي شقيقته انه كان بضاً اشقر الشعر فسماه ذووه بالدب الابيض تحبباً وتدليلا ، وكان الى هذا ذكياً شجاعاً لا يهاب احداً ، وكثيراً ما واجه عمال المناجم بقلب جسور وشد على ايديهم امام اترابه الخائفين من آثار الفحم تصبغ وجوه هؤلاء العمالقة .

فلما بلغ سن المراهقة اتقد ذكاؤه وبرزت مقدرته الفذة في الرياضيات ، وصار عنيداً يميل الى الواقع وينفر من الخيال . وكثيراً ما قام بتجارب لصنع طائرة بالحجم الطبيعي وحاول ان يطير بها مع رفيقه كايتل ( هو غير المارشال كايتل الذي صار من الد اعداء رومل ) ولكن دون جدوى . وكان والده يعارضه في تصاميمه هذه .

وانتهى الامر برومل الى اختيار الجيش . ولم يكن في اسرة رومل عسكري محترف واحد ولا كان من السند ما يعجل بترقيته الى مناصب رفيعة في الجيش على غرار كثيرين من القادة ، وما وصل الى ما وصل اليه بجده واجتهاده .

دخل رومل في التاسع عشر من تموز ١٩١٠ كردوس المشاة الـ ١٢٤ في فينغارتن برتبة تلميذ ضابط ، ورقي الى رتبة عريف في تشرين الثاني ، ثم الى رتبة صف ضابط في نهاية كانون الاول . وفي آذار ١٩١١ دخل مدرسة دانتزيغ العسكرية وهناك تعرف بواسطة رفيق من رفاقه بالفتاة التي تزوجها بعدُ ، والتي كانت المرأة الوحيدة التي عرفها طول حياته (لوسي ماريا مولين ) وهي ابنة أحد الملاكين في بروسيا الشرقية ، كانت تدرس في دانتزيغ لتنال شهادة استاذة في اللغات .

وتدرج رومل في حياته العسكرية ببطء . وما حل العام ١٩١٤ حتى كان بين الذاهبين الى الحرب فبرز فيها وابدى شجاعة منقطعة النظير وجرح في بعض المواقع ونال وسام الصليب الحديدي من الدرجة الاولى سنة ١٩١٥ لانه استطاع على رأس وحدته ان ينتزع اربع حصون صغيرة من الفرنسيين ويحبط هجوماً على الخطوط الالمانية .

وحارب رومل في المانيا وبلغ اوج عزه في الحرب العالمية الاولى وذلك بعد قتال متواصل استمر خمسين ساعة .

وفي تاريخ رومل القديم سلسلة من الاعمال العسكرية الجريئة المماثلة ، وقد تضافرت كلها في تقوية عوده وترسيخ قدمه في فنون الحرب واساليبها .

## بين حربين

كانت هزيمة المانيا في العام ١٩١٨ صدمة هائلة للجندي الالماني المحترف اشد بمراحل من صدمة هزيمة ايار ١٩٤٥ . فقبيل نهاية الحرب العالمية الثانية كان سواد الالمان الاعظم يدركون ان الهزيمة كانت محققة . اما في العام ١٩١٨ فما كان الضابط الالماني يتصور ان الهزيمة ممكنة ولا فكر لحظة بالاستسلام . ولا غرو فقد كانت الجيوش الالمانية ، بعد ، تدوس ارض الاعداء ، وما كان من احد الا الاسرى ، قد وطىء الارض الالمانية . بل ان الحلفاء انفسهم كانوا يتاهبون لشتاء آخر يقضونه في حرب مواقع مع الالمان ، ويعدون العدة للدفاع بوجه هجوم الماني محتمل في ربيع ١٩١٩

والحقيقة ان الجيوش الالمانية خسرت الحرب وان الحصار سحق روح المقاومة الالمانية في المؤخرة واصبحت الهزيمة محققة وان امكن تاخيرها ...

ثم كانت معاهدة فرساي التي لم يشعر الماني واحد ذات يوم بانه مقيد بها ، ولا رضي بالتنازل عن قسم كبير من بروسيا الغربية لبولونيا او عن دانتزيغ او بجعل مليوني الماني تابعين لبولونيا . وكان الضباط اشد الالمان نقمة على معاهدة فرساي واعتبروا الحلفاء خادعين اذ غرروا بالمانيا اثناء استسلامها ولم يضمنوا معاهدة الصلح بنداً واحداً من البنود الاربعة عشر التي نادى بها رئيس الولايات المتحدة ولسن ولا اخذوا برأي المانيا في

قليل او كثير ، بل فرضوا عليها معاهدة الصلح فرضاً .

كان الالمان بعد اقوياء لم تدخل الحرب عقر دارهم ولا كسرت من شوكتهم ، فما شكوا لحظة في ان ساعة الانتقام من المنتصرين قريبة . واذكر ان صناعياً من دوسلدورف قال لي سنة ١٩١٩ ، ولم يمض الا عام على انتهاء الحرب ، : انهوا احتلالكم وسترون اننا نستطيع ان نطرد الفرنسيين الى بلادهم بالعصي . »

وعادت المانيا ، بين الدماء والدموع والمنازعات الداخلية ، فاشتد ساعدها ورجع الضباط الى وحداتهم كأنهم غابوا حيناً في مناورات عسكرية غير عادية فحسب ! وتلك كانت حال الكابتين ارفين روميل . ففي الحادي والعشرين من كانون الاول ١٩١٨ اعيد الى الكردوس الـ١٢٤ الذي دخله قبل ثماني سنين . وفي ذلك الشهر ذاته سافر الى دانتزيغ ، والمانيا في ابان ثورتها ، وعاد زوجته المريضة . وفي اول كانون الثاني ١٩٢١ تسلم روميل قيادة فصيل من كردوس المشاة الثالث عشر بعد ان قطعت اوصال الكردوس الـ ١٢٤ اثناء خفض تسلح المانيا . وبقي في رتبته ووظيفته هذه تسع سنين .

في اول تشرين الثاني ١٩٢٩ عين روميل مدرساً في مدرسة المشاة في دريسد وبقي في هذا المنصب اربع سنين ، ووضع كتاباً عنوانه « معارك المشاة » استمد موضوعه من تجاربه في الحروب التي خاض غمارها . وقد تبنى الجيش السويسري هذا الكتاب واهدى ضباطه روميل ساعة ذهباً تقديراً له .

وفي العاشر من تشرين الثاني ١٩٣٣ رقي روميل الى رتبة مقدم وتسلم قيادة الفوج الثالث في كردوس المشاة السابع عشر .

حرص روميل اشد الحرص على ان يبقى بعيداً عن السياسة قبل

وصول هتلر الى مستشارية المانيا في الحادي والثلاثين من كانون الثاني ١٩٣٣ . كان ذلك اصيلا في طبعه مضافاً الى الجنرال سيكت ، صانع الجيش الالماني الجديد قد حظر على الجيش الاشتغال بالسياسة تاركاً لهيئة اركان الحرب العامة ان تقرر طرق استخدام هذا الجيش حين تدق الساعة .

لم يتصل رومل بهتلر او بحركته النازية ، واعتبره مواطناً يعمل لتوحيد المانيا ويحارب الشيوعية فيها . وما كانت نظرته هذه بغريبة . فقد وافق فيها آراء كثيرين من الانكليز الذين لم يقيموا وزناً كبيراً لهتلر . وكان رومل الى هذا يعرف جماعة القمصان السمر معرفة تامة ولا يجهل تهورهم وانغماسهم في الفوضى والمخازي فلم يستنكر اعدام روهم وعصابته في ١٠ حزيران ١٩٣٤ ، وصدق كما صدق كثيرون غيره ان جماعة القمصان السمر تآمروا لعزل هتلر والاستيلاء على زمام الحكم . ولقد اكدت لي السيدة رومل وغيرها ان قضية « تصفية » روهم وجماعته احدثت ضجة في المانيا ، ولا سيما الريف الالماني ، اقل من تلك التي احدثتها في الخارج .

كانت صلة رومل الاولى بالحركة الوطنية الاشتراكية سنة ١٩٣٥ حين اختار النازيون مدينة غوسلار للاحتفال فيها بذكرى انشاء الحزب . وكانت غوسلار هذه مقر الفوج الجبلي الذي يقوده رومل .

اعدت عدة الاحتفال ، وفيها عرض عسكري للفوج المذكور ، وابلغ جماعة من الحرس الاسود رومل ان وحدة من هذا الحرس ستسير في طليعة الفوج لحماية هتلر اثناء الاحتفال . فلما رفض رومل ذلك استدعاه هملر وغوبلز الى فندقهما واحسنا وفادته واصلحا الامر معه ، فعاد راضيا . وكانت مقابلته لهتلر رسمية بحتاً اذ انه حيا المستشار حين قدم اليه بوصفه

قائد الفوج وصافحه حين مد له يده ...

في الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٣٥ ، عين رومل استاذاً في المجمع الحربي في بوتسدام ، وهو برتبة عقيد ( ليوتنان كولونيل ) ، فاصبح في وسط المعمعة السياسية . ولكنه ظل بعيداً عن هذا الوسط وعن ضباط الجيش الالماني الاعلين كذلك . وعبثاً حاول رؤوس الحزب النازي ان يدمجوه في طغمة القادة الذين سعوا في تحويلهم الى نازيين مخلصين بعد ان اصبح هتلر ، بموت هندنبرغ ، القائد الاعلى للجيوش الالمانية .

ومرت ايام وهو على هذا الموقف المتحفظ من النازيين ، الى ان عين على رأس الشبيبة الهتلرية وعهدت اليه السلطة بمهمة بث روح النظام والانضباط في صفوفها وخلقها خلقاً جديداً ، فانصب على هذا العمل ، بهمة وارتياح . ولكن فون شيراخ ما لبث ان نجح في اقصائه من هذا المنصب فاعيد الى بوتسدام ، وبعد ان قضى في جامعتها العسكرية ثلاث سنين الحق بادارة المجمع الحربي في فيينر نوشتات ، وكان قد رقي الى رتبة كولونيل .

ولقد اتفق لرومل ، قبل مغادرته بوتسدام ، ان كلف بمهمة موقوتة بدلت مجرى مستقبله . ففي تشرين الاول ١٩٣٨ اختاره هتلر ، وقد اعجب بكتابه عن فنون حرب المشاة الصادر في العام السابق ، رئيساً لحرسه الخاص . وكان ذلك اول عهد رومل بهتلر وجهاً لوجه .

ولما اشتدت نذر الحرب في اوروبا وكان مؤتمر مونيخ وتبعه مؤتمر براغ ، كان رومل في عداد اولئك المفكرين الكثيرين الذين ظنوا ان هتلر سينتهي باجتناب الحرب . بل بقي حتى يوم رقي الى رتبة ماجور جنرال وعين ركناً من اركان حرب الفوهرر العامة ، في الثالث والعشرين من آب ١٩٣٩ ، يحسب المانيا لن تسلك طريق الحرب .

ولكن الحرب وقعت . وفي اول ايلول والساعة قد تجاوزت الرابعة باربعين دقيقة ، اطلقت المانيا اسطولها الجوي الجبار فاكتسح بولونيا شر اكتساح : كان لويد جورج مصيباً حين كتب في مؤتمر الصلح في الخامس والعشرين من آذار ١٩١٩ :

« لا بد ان يؤدي الى حرب جديدة في اوروبا الشرقية ، هذا الاقتراح البولوني القائل بوضع مليونين من الالمان تحت سلطة شعب من جنس آخر لم يثبت ، طول تاريخه ، على قدرته على حكم نفسه بنفسه . »

# الشبح

لما عاد رومل من حملة بولونيا عين في مقر الفوهرر العام وكلف مرة اخرى بحفظ سلامة هتلر. ولكنه كان يتحرق شوقاً الى تسلم زمام قيادة في الميدان، فلم يتردد في مفاتحة هتلر برغبته هذه فحققها ، وعينه في الخامس عشر من شباط ١٩٤٠ على رأس الفرقة السابعة المصفحة في غودسبرغ على الرين بدلا من الجنرال شتوم ، وهو الجنرال نفسه الذي خلفه رومل في افريقيا حين توفي بمرض القلب في بداية معركة العلمين ، وبقيت زوجته وابنه مانفريد فيفيينر نوشتات .

استطاع رومل في اقل من شهرين ان يدرب الفرقة تدريباً شاملا قاسياً معتمداً على الدروس التي عاد بها من حملة بولونيا وعلى ما استفاده ورفيقه غودريان من دارسة كتب الجنرال فولر والكابتن ليدل هارت في فنون الحرب المصفحة . ولما صدر الامر بغزو بلجيكا كانت الفرقة مستعدة تمام الاستعداد للهجوم .

في العاشر من ايار اجتازت الفرقة المصفحة السابعة حدود بلجيكا في نقطة تبعد حوالى خمسين كيلومتراً جنوبي شرقي لياج . وفي الثالث عشر من ايار تلقى رومل امر القيام بالمهمة الخطرة الاولى : اجتياز نهر الموز .

كان البلجيكيون رابضين في بيوت محصنة وفي ملاجىء متينة ولديهم اسلحة مضادة للدبابات ومعاقل من الابرق المسلح ومدافع كثيرة ،

فقاتلوا قتالا عنيداً ، فاضطر روميل لكي يجتاز الموز ، ان يمد جسراً تحت نيران البلجكيين الحامية ، فخاض بجنوده النهر حتى الكتفين ووقف بجانبهم يساندهم في العمل كأنه واحد منهم ، ولم يفارقهم الا بعد ان تم مد الجسر .

لم يكن خط النار مكان روميل ، وما اعتاد الجنرالات الالمان هذا « التواضع » او هذه المغامرة . من اجل هذا كان لبادرة روميل وقع عظيم في نفوس جنوده وسرعان ما انتشر خبرها في صفوفهم جميعاً فاكبروها واستمدوا منها شجاعة فوق شجاعة . ولما شن الفرنسيون هجماتهم المضادة على الالمان في المساء صدهم هؤلاء بسرعة ، وما انتصف الليل حتى كانت دباباتهم الاولى تعبر النهر وعلى رأسها دبابة روميل .

وفي اليوم التالي كادت الجبهة تشهد مصرع روميل ، فقد وقعت دبابته في بقعة رملية تعرضت لنيران العدو ، وعطلت وجرح روميل في وجهه وشرع جنديان فرنسيان يزحفان للقبض عليه ، ولكن دبابة الكولونيل روتنبرغ قائد الكردوس الخامس والعشرين المصفح بادرت في اللحظة الاخيرة وانقذته .

في الليلة التالية اصطدمت فرقة روميل بتمديدات خط ماجينو في المنطقة المحصنة ، ولكن سرعان ما التفت عليها واندفعت في تقدمها ... كانت اوامر القيادة العليا تقول ان الدبابات لا تستطيع ان تسرع في تقدمها وهي تطلق النار اطلاقاً مصيباً ، ولكن روميل تجاهل هذه الاوامر معتمداً على المفاجأة التي تحدثها سرعة التقدم في صفوف العدو ، والقوة المعنوية الجبارة التي يستمدها الجنود المهاجمون من نشوة الظفر .

وهكذا افلح روميل في اكتساح الخطوط الفرنسية اكتساحاً مرعباً ، ومضى في تقدمه تاركاً وحدات من الفرقة تقاتل في المدن ، الى ان اصبح

التراجع الفرنسي عاماً مضطرباً ، وتساقطت المدن الواحدة تلو الاخرى تحت اقدام رومل، وابرزها آراس من حيث طرد الانكليز هم الآخرون.

كان رومل طول المعارك التي تعاقبت اثناء زحفه في طليعة الفرقة يتحدى الموت بقلب قد من الصخر . وظل كذلك حتى النهاية حين هزم الفرنسيين الهزيمة الاخيرة على خط فيغان ورمى بالانكليز من فرنسا كلها الى البحر من طريق دنكرك بين التاسع والعشرين من ايار والرابع من حزيران .

لقد سابق رومل الساعة ، فلم يضع دقيقة واحدة ...

ثم كان الاستسلام في سان فاليري في الثاني عشر من حزيران . وفي السابع عشر منه ، يوم طلب بيتان الهدنة بعد ثلاثه ايام من دخول الالمان الى باريس ، كانت الفرقة السابعة ، او الفرقة «الشبح» كما سميت ، تتغلغل في شبه جزيرة كوتنتان في طرف فرنسا الشمالي الغربي لتهاجم شربورغ ، وقد انتزعتها من ايدي ثلاثين الف جندي استسلموا امام فرقة مدرعة واحدة ، امام هذا الشبح الرهيب الذي انقض به رومل على فرنسا فسحقها سحقاً . وفي التاسع عشر من حزيران والساعة التاسعة عشرة وقعت وثيقة الاستسلام في شربورغ ...

سحبت فرقة رومل من شربورغ بامر من القيادة العليا قبل ان يترك لها الوقت الكافي لتحصي غنائمها . ولقد اسرت خلال هجومها الخاطف الذي استمر من العاشر من ايار سبعة وتسعين الفاً وار بعمائة وثمانية وستين اسيراً ، واسقطت اثنتين وخمسين طائرة ، واستولت على خمس عشرة طائرة اخرى من مطاراتها ، وغنمت اسلحة واعتدة كثيرة . ولم يتعد مجموع خساراتها طول الحملة ثمانية واربعين ضابطاً قتلوا وسبعة وسبعين جرحوا ومائة وثمانية من ضباط الصف قتلوا وثلاثمائة وسبعة عشر جرحوا

وخمسمائة وستة وعشرين رجلا قتلوا والفين وثلاثمائة واثنين وخمسين جرحوا وحوالي مائتين وخمسين رجلا فقدوا ، وكادت خسائرها بالدبابات لا تذكر اذ لم تتعد الخمسين .

وهذه الخسارة على قلتها اذا قيست بالانتصارات العظيمة التي احرزتها الفرقة السابعة ، تعد قيمة على يد رجل كرومل عرف بحرصه الشديد على ارواح جنوده ، وتدل على ان الفرقة خاضت غمرات معارك قاسية وما اكتفت بنزهة عسكرية خلف عدو مهزوم عبر فرنسا .

## هاتوا فرقتين فأدخل القاهرة

لعل الانكليز لم يعرفوا نعمة كالتي هبطت عليهم حين جاءهم خبر توقف الفرنسيين عن القتال في افريقيا الشمالية . فلو تابع الفرنسيون القتال في هذا الميدان لطاردهم الالمان ولكانت اسبانيا دخلت الحرب او اكتفت بفتح اراضيها للجيوش الالمانية ، ولاغلق باب البحر الابيض المتوسط الغربي وسقط جبل طارق ، ولكفى بعد ذلك فرقتان مدرعتان لكي يقضي الالمان عيد الميلاد في القاهرة ، ثم يزحفوا من قناة السويس وتمد امامهم الطريق الى سوريا فالعراق فايران فالقفقاس .

لم يقدر كل هذه الاحتمالات حق قدرها غير اركان حرب الاسطول البحري الالماني . فحين طرح على بساط البحث امر سحق انكلترا ابدى الاميرال ريدر شكه في نجاح حملة من البحر على الجزر البريطانية ، واقترح في السادس من ايلول ١٩٤٠ فكرة سحق انكلترا بطردها من البحر الابيض المتوسط . ثم زاد الاميرال ريدر رئيس اركان البحرية الالمانية خطته هذه ايضاحاً في السادس والعشرين من ايلول اثناء مؤتمر عقده مجلس الحرب الالماني ، فقال :

«كان البحر الابيض المتوسط دائماً في تاريخ انكلترا محور امبراطوريتها وحجرها الاساسي . فلا بد من ان نحسم مشكلة المتوسط في بحر هذا الشتاء. علينا ان نستولي على جبل طارق ثم نحتل قناة السويس .

واشك في مقدرة الطليان على القيام بهذه المهمة ، فلا بد من ان تدعمهم جيوش المانية ، ولا بد لنا من التقدم الى ما وراء قناة السويس عبر فلسطين وسوريا ، وقد نتجاوزها الى تركيا ، ومتى بلغنا اهدافنا هذه غدت تركيا في ايدينا ، وحينئذ يهون امر روسيا . فالروس يخافون المانيا بطبعهم . وفي رأيي ان زحفنا على روسيا من هذه الجهة يوفر علينا مهاجمتها من الشمال »

« وقضية افريقيا الشمالية هي الاخرى اساسية ، والدلائل لدينا كثيرة على ان الانكليز يريدون ، بمعونة قوى الجنرال ديغول وربما الولايات المتحدة، ان يجعلوا من هذه المنطقة مركز مقاومة حصيناً وان يقيموا فيها قواعد جوية للانقضاض على ايطاليا فتسوء العاقبة ويهزم حليفنا الايطالي . »

ولقد وافق هتلر على هذه الآراء واقر بصوابها ، ولكنه لم يقدم عليها لعدة اسباب ، منها انه يجهل مشاكل البحر وانه ظل حتى صيف ١٩٤٠ واثقاً بان الانكليز سيقبلون صلحاً منفرداً لكي تتفرغ المانيا لمهاجمة روسيا فلا تخوض الحرب على جبهتين . ومنها انه طمع ، اذا رفض الانكليز الصلح المنفرد ، بان يجر فرنسا الى صفه فتحارب الانكليز ، كما يتضح ذلك من تقرير لوزير الخارجية الايطالية الكونت شيانو بعد مقابلة هتلر موسوليني في ممر برينر في الرابع من تشرين الاول . ومن تلك الاسباب اخيراً ان فكرة الانقضاض على روسيا اختمرت في رأس هتلر حوالى نهاية ايلول .

على ان هتلر رغم انشغاله بالروس لم ينس افريقيا الشمالية تماماً ، فقد سعى فون ريبنتروب ، ولو سعياً سيئاً ، لجر اسبانيا الى الحرب . ورسم الالمان خطة للاستيلاء على جبل طارق اشتهرت بخطة « فيليكس » وكثيراً

ما عـرضت على بساط البحث فكرة المارشال غورنغ والرامية الى شن هجوم ثلاثي في مراكش وطرابلس الغرب والبلقان وانتهى الامر بتنفيذها.

ثم ان الجنرال فون توما رئيس القوى الالمانية المصفحة في هيئـة القيادة الالمانية العامـة ، اوفد في تشرين الاول الى الجنرال غرازياني ليبحث معه في ارسال الجيوش الالمانية الى ليبيا . وكان تقرير الجنرال توما بعد المقابـلة مخالفاً لهـذه الخطة ، وسماها بالخطة السياسية الرامية الى منع ايطاليا مـن الانتقال الى معسكر الاعـداء ... ومـن الاسباب التي تذرع بها الجنرال فون توما في معارضة الخطة انها تحتاج الى اربع فرق مدرعة لا بد لها من ان تحل محل القوات الايطالية وذلك ما يعارضه القادة الطليان وعلى رأسهم غرازياني وبادوليو معارضـة شديدة . وذهب فون توما الى ان فون براوشتش والجنرال هالدر رئيس اركان حربه يوافقانه في معارضة فكرة ارسال قوى المانية الى افريقيا الشمالية .

استاء هتلر من هذا التقرير ايما استياء . وكان من نتائج استيائه انه لم يعين فون توما لقيادة القوات الالمانية في افريقيا الا حين اوشك الالمان ان يخسروا حرب الصحراء (وصل فون توما الى جبهة العلمين في العشرين من ايلول ١٩٤٢ واسر بعد حين ) .

ثم كانت هجمة ويفل الجريئة على الطليان وسحقه جيش غرازياني بتلك السرعة البرقية المدهشة ، فلم ير هتلر بداً من العمل لئلا تضيع افريقيا الشمالية فيكون لضياعها ضجة عظيمة في العالم وتطلق بعدها ايدي الانكليز وفـرقهم الاثنتي عشرة في المتوسط فيستخدمونها استخدامـاً خطراً في سوريا .

كان كل ما يرمي اليه هتلر مـن ارسال النجدات الى افريقيا الدفاع فحسب . وكأنه قال ذلك صراحة برسالته الى موسوليني في الثامن

والعشرين من شباط : «صبراً خمسة او ستة ايام اخرى ، وانني واثق بان كل محاولة من الانكليز لبلوغ طرابلس الغرب ستمنى بالفشل . اشكرك لانك وضعت وحداتك المصفحة بتصرف الجنرال رومل . انه رجل ثقة . وارجو ان يحبه رجالك ويصدقوا في خدمته عما قليل . انني على يقين من ان وصول الكردوس الاول من المصفحات الالمانية سيقوى مركزكم في افريقيا تقوية عظيمة . »

كان هتلر ، بلا شك ، يقدر شأن افريقيا الشمالية حق قدره . ولكن لم يظهر منه ولا من اركان حربه ما يدل على انهم طمعوا في فتح افريقيا باسرها او قدروا النتائج البعيدة لهجوم موفق على مصر . من ذلك ان الجنرال هالدر لم يعتبر الحملة الافريقية حملة جدية وظل يعتبرها الوسيلة السياسية الوحيدة لابقاء ايطاليا في الحرب بجانب المانيا .

قال هالدر حين استنطقه الحلفاء بعد الحرب : «صحيح اننا كنا مستعدين لاغتنام اية فرصة تسنح لنا للتقدم في حملتنا هذه . ولكن كل ما كان يشغلنا في حملتنا الافريقية هذه هو كسب الوقت ! وقد حدث في ربيع ١٩٤٢ ان تناقشت في الامر مع رومل ، فاسر اليّ عزمه على فتح مصر وقناة السويس . ثم حدثني بامر افريقيا الشرقية فضحكت ساخراً . فكان جوابه : «اعطني فيلقين مدرعين فوق ما عندي ولك ان احقق ما عقدت العزم عليه . » ... سألته : هب انا استطعنا تقديم هذين الفيلقين فكيف نتمكن من تموينها بالعتاد والطعام ؟ فكان جوابه : ليس هذا شأني . » ولما ساءت الامور في افريقيا الشمالية لم يكف رومل عن طلب المزيد من النجدات والمدد وما خطر له مطلقاً ان يتساءل من اين نستطيع ان نأتيه بما يطلب . »

صحيح ان رومل مات ، والكذب على الموتى سهل . ولكن كشف

الحقيقة ليس صعباً بقدر ما يحسب هالدر ، ولا بد للتاريخ من ان ينصف روميل . فالحقيقة ان ما طلبه روميل للقيام بحملته ليس الا فرقتين مدرعتين لا فيلقين كما ادعى هالدر . ثم ان هالدر اغفل امراً جوهرياً ، اثناء اشارته الى حديثه مع روميل في ربيع ١٩٤٢ ، وهو ان روميل طلب في السابع والعشرين من تموز ١٩٤١ الاذن لكي يشن هجوماً على قناة السويس في شباط ١٩٤٢ .

ومهما بلغ ما طلبه روميل في ربيع ١٩٤٢ من قوى ، فالثابت انه لم يطلب قبل ذلك اكثر من ثلاث فرق المانية وبعض وحدات مختلطة تؤلف فرقة رابعة مضافة الى ثلاث فرق طليانية . وكان ان قامت قيامة القيادة العليا على روميل وسفهت خطته . ويقيناً لو ان روميل فاز بتلك الفرق الاربع الاضافية التي طلبها (كان على الجبهة الروسية مائتا فرقة المانية ، واستطاع الالمان ان يرسلوا ثلاث فرق منها الى تونس في اقل من ثلاثة اسابيع حين غزا الحفاء افريقيا الشمالية في تشرين الثاني ١٩٤٢ ) لدخل القاهرة في مطلع العام ١٩٤٢ .

اما بصدد التموين ومشاكله ، فقد اغفل الجنرال هالدر حقيقة جوهرية وهي ان روميل ادرك منذ زمن بعيد ما جهله اركان الحرب الالمان والطليان جهلا فاضحاً ، اعني ان حل جميع مشاكل التموين اي السيطرة على البحر الابيض المتوسط ، كان محصوراً في الاستيلاء على جزيرة مالطة .

كانت معركة افريقيا في الحقيقة معركة بين روميل الذي ادرك انه يستطيع احراز نصر عظيم في هذا الميدان يؤثر في سيرة الحرب كلها ، وبين هيئة قيادة لم تنظر الى الحملة الافريقية يوماً نظرة جد .

كانت كل هذه المنازعات الداخلية ، بعد ، خفية ، حين استدعي روميل في الخامس عشر من شباط ١٩٤١ ، وقد غدا بطلا في اعين الالمان ورقي

الى رتبة جنرال اكبر في الشهر السابق ، لكي يقود القوات الالمانية في ليبيا .

وقبل ان يسافر رومل الى افريقيا كتب الى زوجته متجاهلا اوامر الكتمان ، يخبرها بالجهة التي يقصدها مكتفياً بالتلميح ، قال :

« انا ذاهب، واعتقد انني سأتمكن الان من معالجة ريح مفاصلي » .
وقد ادركت الزوجة مقصده ، اذ كان الطبيب قد اوصاه ابان حملة فرنسا بان يداوي مرضه بشمس افريقيا . » ...

وبعد بضع ساعات قضاها في برلين ، ركب رومل يرافقه شهر ندث ومرافقه الدينغر الى افريقيا بطريق روما .

# كر وفر في الصحراء

قضى روميل سنتين تامتين في افريقيا الشمالية. ومن السهل تتبع تأرجح كفته في ميزان معركة الصحراء طوال هذه المدة: ارتفع روميل بسرعة ادهشت العالم حين احرز انتصاره الاول في نيسان ١٩٤١ . ثم انخفض بعض الانخفاض حين اخفق في الاستيلاء على طبرق في اول ايار . ولكنه عوض عن ذلك تعويضاً كافياً باحباطه هجمات الجنرال ويفل الصغيرة في نصف ايار ونصف حزيران .

وتبعت ذلك سلسلة من الرفعات والخفضات السريعة الخاطفة وانتهت بسقطة طويلة لروميل اذ تغلب عليه الجنرال اوكنليك والجنرال ريتشي ورداه على اعقابه الى حدود القيروان . وما كاد ذلك العام ينتهي حتى كان روميل يقف على الخطوط التي بدأ منها هجومه الاول .

ولكن سرعان ما ارتفع روميل فجأة. فقدهجم هجمة مضادة كاسحة على حين غرة من الانكليز في كانون الثاني وشباط ١٩٤٢ وردهم حتى الغزالة فاجتاز ثلثي الطريق الى الهدف الابعد الذي بلغه اثناء هجومه السابق في نيسان .

بعد سقطة قصيرة كادت تؤدي بروميل الى كارثة بدأ ، في نهاية ايار ، اعظم صعود عرفه روميل في تاريخه ووقف العالم امامه مشدوهاً ، اذ تجاوز طبرق في اقل من شهر ثم عبر الحدود المصرية وتخطى مرسى

مطرووح فبـاغوش فالدابة ، حتى بلغ العلمين وجعل يدق ابواب الاسكندرية .

كان ذلك اوج رفعة روومل . وعند هذه القمة من المجد اوقفه الجنرال اوكلنك ، ثم بدأ الانحدار بطيئاً ولـكن مضنياً عسيراً . ومـا لبثت انتصارات الجنرال مونتغمري في علم حلفا في آب ثم في العلمين في مطلع تشرين الثاني انحولت هذا الانحدار الى سقطة سريعة لم تنته الا في الثاني عشر من ايار ١٩٤٣ حين القت فلول الفيلق الالماني سلاحها في تونس . وكان روومل ، قبل ذلك بشهرين ، قد طار الى المـانيا ليقنع هتلر بان يسمح له بسحب جنوده من افريقيا ، ولكن عبثاً حاول ..

ارتكب الجنرال ويفل او اركان حربه ، خطأ كبيراً لما حسبوا ان روومل لا يستطيع ان يهاجم بالسرعة التي هاجم بها في ربيع ١٩٤١ . ومن الانصاف ان نعذر دائرة الاستخبارات البريطانية . فقد ادهشها روومل كما ادهش رؤساءه انفسهم ، اذ شن هجومه في الحادي والثلاثين من آذار مع ان القيادة الالمانية العليا لم تطلب اليه الا في الحادي والعشرين من اذار ان يرسم لها خطة لاسترداد القيروان في مهلة لا تتعدى العشرين من نيسان .

كان روومل يواجه قوات انكليزية كبيرة فكان مفروضاً الا يفكر ببلوغ اجدابيا قبل وصول الفرقة الخامسة عشرة المصفحة . وكان مفروضاً ان تقضي القيادة العليا اسبوعاً او اسبوعين في قتل خطة روومل درساً وتجريحاً ... ولكن روومل سبق القيادة العليا ولم يدع لها مجالا للاخذ

---

١) استقى المؤلف معلوماته عن دقائق حركات روومل في الصحراء من الجنرال بايرلين رئيس اركان حرب الفيلق الالماني في افريقيا ، وقد اجتمع به في اوبر اورسل ، احد مراكز الاستنطاق الاميركية في المانيا .

والرد . فقد استرد القيروان ، الا طبرق ، وبلغ الحدود المصرية قبل تسعة ايام من الموعد المضروب لوصول خطته الى القيادة الالمانية العليا !

اما الفرقة الخامسة عشر المصفحة فكانت ، بعد ، تنفض عنها غبار السفر في طرابلس !

بهذه المفاجأة المهولة الرائعة ظهر رومل اول مرة على مسرح الصحراء: كانت السرعة الخاطفة التي اجتاز بها الصحراء حديث القاصي والداني ودهش لها اكابر الخبراء العسكريين انفسهم. ولكن وقعها الاعظم تجلى في نفوس الجماعات الشعبية التي تقدر الانتصار بالمسافات على الخرائط .

والواقع ان الارض تكاد لا تكون ذات قيمة في حرب الصحراء ، اذ يكفي ان تسحق عدوك المصفح لكي تندفع « باسطول» دباباتك باقصى ما تستطيع شاحناتك ووقيدها . اما العنصر الجوهري فهو صنف الدبابات . ولقد ظلت الدبابات الالمانية متفوقة على الدبابات الانكليزية حتى وصلت دبابات « شيرمان » قبل معركة العلمين .

ولقد اخطأت هيئة اركان الحرب والحكومة البريطانيتان في تقدير صنف الدبابة الالمانية قدره الحق ، وحسبتا ان الكثرة تستطيع ان تقوم مقام رداءة النوع . وجاءت معركة الصحراء تظهر بطلان هذا الظن .

كان رومل يقود جيوشه القليلة العدد نسبة الى الخصم، بمهارة وحنكة قلما عزف مثيل لهما ، فاستطاع ان ينتزع الغلبة من الخصم انتزاعاً واحتال عليه حتى قضى منه وطره . ولكنه اصطدم بدماغ جبار في فنون الحركات العسكرية هو الجنرال ويفل . وكان قرار ويفل بالاحتفاظ بطبرق كشوكة في جنب رومل ، من اعظم الاحداث التي سجلت في معركة الصحراء ، ولعله هو الذي انقذ مصر من يد رومل .

كان رومل هو الاخر يدرك شأن طبرق حق قدره ، فما ان وصلته

الفرقة الخامسة عشرة المدرعة حتى انقض في اول ايار على هذه المدينة ولكن الاوستراليين كانوا اعند من ان يزحزحهم حتى روميل نفسه فثبتوا وكادت معركة القيروان كلها تنحصر بانتزاع طبرق . وكان ان جاءت الدبابات الجديدة الى البريطانيين فشن ويفل هجوماً مضاداً قصير النفس واستولى على سلوم وكابوزو . ولكن روميل لم يمهلهم اكثر من يوم واحد ، ففي اليوم التالي ارتد عليهم واخرجهم من كلا الموقعين ، ثم انقض عليهم في موقع حلفايا الضيق الممرات واكرههم على اخلائه صاعداً بدباباته مرتفعات يبلغ علوها مائتي قدم وتمتد في اتجاه الجنوب الشرقي مسافة ثمانين كيلومتراً في الصحراء ...

وقارب الصيف نهايته والخصمان يدعمان مواقعهما . ولكن الزمن كان يسير بخلاف ما يشتهي روميل . فالقيادة الالمانية العليا ، وقد شغلتها روسيا دون سواها ، لم تهتم بافريقيا الشمالية . ولئن تكن هذه القيادة قدحسبت ان الهجوم على قناة السويس ثم على ايران سيقع في النهاية، فلا شك في انها قدمت عليه الهجوم على روسيا . على هذا لم يبق امام الجيوش الالمانية في ليبيا الا ان تكتفي بدور المساندة دون ان تطمع باي مدد . وكان على روميل ان يعدل ، بعد قطع الامل بتحسن حركة تموينه دون هجوم على جزيرة مالطة ، عن فكرة اغتصاب طبرق . فان سقطت فعليه ان يتوقف في السلوم دون ان يمضي في الزحف على مصر ، والا بقي على اهبة التراجع حتى الغزاله .

كان روميل عبقرياً في رسم الخطط البعيدة المدى . ولقد اشرنا، قبل حين الى الخطة التي رسمها في تموز ١٩٤١ للاستيلاء على قناة السويس . والواقع ان هذه الخطة لا تقف عند القناة . فقد اكد لي الجنرال فون رافنشتاين ان مرامي روميل تعدت قناة السويس باشواط طويلة : كان

يعد هذا التقدم خطوة تمهد في سبيل زحف على البصرة في الخليج الفارسي. اما الهدف من هذا الزحف فهو قطع سيل المعدات الاميركية الدافق على روسيا من الخليج الفارسي، ومتى انجز القسم الاول من الخطة يؤمن رومل طريق تموينه ذاتها عبر سوريا، مع الامل بان تضطر تركيا الى اللحاق بالمعسكر الالماني اذا سارت الامور سيراً طيباً في افريقيا الشمالية، والا هاجمها الالمان وسحقوها.

قبل ان يتسرع بعضنا فيصم هذا المشروع بالخيالي، على نحو ما فعلت القيادة الالمانية العليا التي لم يبلغها منه الا قسمه الاول، ارى ان نطالع تقرير الجنرال اوكنليك، ورقمه ٣٨١٧٧، عن الحملة في الشرق الاوسط بين اول تشرين الثاني ١٩٤١ والخامس عشر من آب ١٩٤٢، فنرى مبلغ الصعوبة التي كان يعانيها البريطانيون للبقاء في سوريا بعد استسلام حكومة فيشي، والمشاكل التي قامت بوجههم في العراق وايران. ونري كيف كان يسهل على قوات منقولة بالطائرات ان تستولي على جزيرة قبرص قبل نهاية صيف ١٩٤٢، وكم كان الخطر على جنب قبرص الشمالي يقض مضجع اوكنليك. ونرى اخيراً ان اوكنليك خشي هجوماً على القفقاس، دون ان ينسى الاشارة الى ما لبقاء الطريق مفتوحة امام المؤن الاميركية المشحونة الى روسيا، عبر الخليج الفارسي، من شأن عظيم في مجرى الحرب كلها.

اما مالطة فما كف رومل لحظة عن التفكير بها واكثر من ابداء دهشته امام اركان حربه، لاحجام القيادة الالمانية العليا عن الاستيلاء عليها مع ان قوات منقولة بالطائرات تحميها سحب مصطنعة كانت قادرة حتما على انتزاع هذه الجزيرة في اي حين من احيان صيف ١٩٤١. وزاد في اهتمام رومل بهذه المسألة ان خمسة وثلاثين في المائة من مؤنه وامداداته

قد اغرقت في اب ، وخمسة وستين في المائة منها اغرقت في تشرين الاول بسبب مالطة ، وما ادركت القيادة الالمانية العليا شأن مالطة في مشكلة السيطرة على البحر الابيض المتوسط الا حوالى نهاية العام ١٩٤١ حين بلغت نسبة خسائر الامدادات المحورية المرسلة الى رومل خمسة وسبعين من مائة ، فبثت الغواصات وارسلت السفن الحربية الخفيفة وعززت سلاحها الجوي فاستطاعت في مطلع العام ١٩٤٢ ان تتحكم باواسط البحر الابيض بلا منازع . وهل دليل على ذلك اقطع من ذلك الدليل الذي اعطاه الطليان حين دخلوا قاعدة الاسكندرية واغرقوا السفينتين الانكليزيتين الحربيتين الوحيدتين الموجودتين فيها وهما : « كوين اليزابيت » ؟ و « فيليانت » ؟ ..

هكذا فات الوقت المناسب لارسال النجدات الى رومل . ولكن رومل لم ييأس ولا رضي بالتراجع فعزم على الهجوم وهدفه الاول طبرق هذه القاعدة العظيمة التي قال الجنرال اوكنليك عن حماتها ان لهم الفضل الاول في بقاء القوات البريطانية اربعة شهور ونصف الشهر حرة في المداورة والتحرك في منطقة حدود مصر .

لم ينل رومل الاذن من القيادة العليا بالهجوم على طبرق ، بالسهولة التي تصورها . كان يريد ان يفرغ من امر هذه الشوكة في تشرين الاول او تشرين الثاني ، فاعترض هتلر وكايتل ويودل على كل محاولة تجري قبل كانون الثاني ١٩٤٣ ، رغبة منهم في اجتناب كل هجوم في افريقيا الشمالية وايديهم مربوطة بالحرب مع روسيا . واعترض الطليان هم الآخرون ، بعدما جاءتهم التقارير من جواسيسهم الكثر المنتشرين في القاهرة والاسكندرية تنبىء بخطط يرسمها الجنرال اوكنليك للهجوم . ثم جاء تقرير من الاميرال كاناريس رئيس دائرة الاستخبارات السرية الالمانية

ينبىء بان جندياً انكليزياً من الجنود الذين يعالجون في مستشفى القدس أبلغ ممرضته ، وجي جاسوسة المانيـة ، ان الانكليز يعدون هجوماً كبيراً على رومل.

رفض رومل ان ينفذ اوامر القيادة العليـا دون مناقشة ، فطار الى روما ومعه الجنرال رافنشتاين ، وكان هذا في مكتب فون رينتلن ، ضابط الاتصال الالماني لدى الطليان حين انفجر رومل صائحاً مزمجراً يؤنب فون رينتلن وينعته بصديق ايطاليا الصدوق ! ثم انه اتصل بجودل و بعد نقـاش و بعد وعد قطعه رومل على نفسه بتحمل تبعـات الهجوم اذن له يودل بالعمل ، وضرب الثالث والعشرون من تشرين الثاني موعداً للهجوم.

لم يفاجىء الانكليز رومل في مقره العام حين شن الجنرال اوكنليك هجومه المرتقب ، ولكن هذا الهجوم اخذ رومل وجنوده على حين غرة منهم وكانت المعركة رهيبة. ومع ذلك لم تكن النتيجة بقدر ما كان حسبها تشرشل وغيره كثيرون . وقد استطاع رومل ان يروغ من الهجمات العديدة التي شنت عليه من مختلف الجهات وان يداور الانكليز بمهارة وقف امامها خصومه مشدوهين . وكان ابرز مداوراته انتقاله الى الهجوم في احرج ساعات الهجوم البريطاني وتمكنه من احباط محاولات التطويق المتكررة التي قام بها الانكليز .

كانت المعارك التي تعاقبت بعد هجوم اوكنليك من اكبر واعنف ما شهدته الصحراء الغربية . وما تأرجحت كفتا الخصمين زمناً مثلمـا تأرجحتا في ذلك الزمن ، وما تجلت عبقرية رومل مثلمـا تجلت في هذا الصراع الذي تصادمت فيه الدبابة بالدبابة والتحم الرجل بالرجل ، الى ان كانت الغلبة في الجولة الاخيرة للجيش الثـامن وتراجع فيلق رومل وقد مني بخسائر هائلة.

## على ابواب الاسكندرية

كان من ابرز واعظم صفات رومل سرعته في النهوض ، كتلك السرعة عينها التي تنهض بها المانيا بعد كل سقطاتها التاريخيات : في الحادي عشر من كانون الثاني ١٩٤٢ كان رومل منصرفاً الى تضميد جراحاته وراء العجيله . وفي ذلك اليوم عينه استولى الافريقيون الجنوبيون على السلوم وكانت البردعة قد سقطت في مطلع الشهر . وفي السابع عشر من كانون الثاني استسلمت حامية حلفايا بعد ان هدها الجوع والعطش وتساقطت مواقع الارتكاز على الحدود .

كان ثلثا قوى المحور قد حطما ولم ينجُ من الفيلق الالماني الافريقي اكثر من نصف رجاله . وبلغت قوى الطليان المعنوية ادنى دركاتها ، ولم يبق من دبابات رومل الاربعمائة والاثنتي عشرة اكثر من ثلاثين والبقية مبعثرة محروقة مسودّة في ميادين القتال ، ولا بقي من الطائرات الالمانية اكثر من مائتين ، وقطع كل امل بوصول نجدات . ولكن رغم كل هذا انتقل رومل في الحادي والعشرين من كانون الثاني الى الهجوم ، فحقق بذلك المستحيل . . . وعادت جيوش المحور تقوم دون سابق انذار يحركها هذا الرجل الحديدي العنيد، هذا القائد الجبار الذي خاض طوال شهرين حرباً من أشق الحروب وافظعها في الصحراء فلم ينم الا لماماً ولا اكل الا ما تيسر حين يتيسر الطعام، وجابه البرد والمطر وعواصف الثلج

متنقلا كالحركة الدائمة من بقعة الى بقعة ومن ميدان الى ميدان.

عادت جيوش المحور تتقدم وعلى رأسها رومل، دون هدف محدود تقف عنده، وكل عدتها مؤونة ثلاثة ايام. وسرعان ما اكتسح رومل الخطوط البريطانية الامامية من ثلاث جهات، وساق الفرقة البريطانية الاولى المدرعة حتى خط الغزالة ـ بير حكيم، فأحرز انتصاراً خاطفاً مدهشاً معتمداً على جرأته ومهارته...

وتضافرت الاحداث الحربية على الحلفاء في ميادين اخرى ولا سيما اوروبا الشرقية والشرق الاقصى فاضطرت القيادة البريطانية ان تسحب قوات من الشرق الاوسط. وكان اوكنليك رغم ذلك يعتزم أن يبادىء العدو بالهجوم، ولكن رومل كان هو البادىء فشن هجومه في السابع والعشرين من ايار بدبابات تفوق في نوعها حتى الدبابات الاميركية من طراز «جنرال غرانت»، وحوّل هزيمته الى انتصار. ولكن مصر لم تقع في أيدي الالمان، ولا سقطت مالطه، لان القيادة الالمانية العليا سدت اذنيها عن سماع رومل واغمضت عينيها عما ينطوي عليه غزو الشرق الاوسط من احداث تبدل وجه الحرب الكونية برمتها...

كانت طبرق ذاتها هدف رومل الاول في هجومه الجديد هذا. وقد ادرك اوكنليك ان رومل لن يغامر فيتوغل في مصر قبل ان يستولي على طبرق. واختار رومل طريق بير حكيم لينطلق منها نحو الشمال، ولكنه وقف دون بير حكيم كليلا، في حين قطعت عليه الطريق بحقول الغام. وكانت موقعة بير حكيم المشهورة التي ثبت فيها الفرنسيون الاحرار ذلك الثبات الجبار بوجه تكاتف الهجمات عليهم من البر والجو الى ان استولى الالمان على هذا الموقع وشقوا الطريق الى الشمال فبلغوا طبرق واستولوا عليها خراباً يباباً. ولما لم يبق فائدة من تمسك البريطانيين

بالحدود طلب الجنرال ريتشي، قائدهم، الاذن بالتراجع نحو مرسى مطروح فجاءه الاذن من الجنرال اوكنليك...

وقف رومل على حدود مصر وقبض على مفتاح الشرق الاوسط. أفيتابع الزحف حتى قناة السويس ؟ وكيف لا يتابعه وهو المتحرق شوقاً الى تحقيق خططه البعيدة المرمى، وكيف لا يخوض غمار الجولة الاخيرة بعد كل هذا العناء ؟

في مساء اليوم الرابع والعشرين من حزيران كان رومل في سيدي براني. وفي اليوم التالي كانت طلائع قواته تبعد حوالى ستين كيلومتراً عن مرسى مطروح. وفي اليوم ذاته تسلم الجنرال اوكنليك بنفسه قيادة الجيش الثامن. وما حل مساء السادس والعشرين من حزيران حتى اندفعت الدبابات الالمانية وسط حقول الغام متابعة تقدمها واكتسحت القوات البريطانية التي اعترضتها. وفي الثلاثين من حزيران وصل رومل الى خط العلمين بعيداً عن الاسكندرية مسافة مائة وخمسة وعشرين كيلومتراً...

كان كل ما بقي لرومل من دباباته اثنتي عشرة.

## مارشال الصحراء

في صباح الحادي والعشرين من حزيران أبرق رومل الى رؤسائه يعلن : أصبحت طبرق في أيدينا . ولم تمض على ذلك أربع وعشرون ساعة حتى أبلغه مقر هتلر العام باللاسلكي انه رقي الى رتبة مارشال ، فصار أصغر مارشال في الجيش الالماني كله، اذ لم يتخط الخمسين من عمره.

كان رومل في أوج مجده وقد انتزع البطولة انتزاعاً من قلب الصحراء ، وغدا اعظم قائد في حرب الصحراء بين قادة الرايش الالماني الثالث ، واثبت انه لم يبعد عن عهد الشباب رغم سنيه الخمسين : غلب الطقس وسحق الساعة وانتصر على النوم وهزم الرمال. كان مثل نابوليون يسير دائماً على رأس من جنوده ويقتحم الاخطار بقلب قد من الصخر . لا يعرف النوم الا لماماً ويقاسم جنوده شظف العيش ، ويتفانى في حب رجاله ورفع سوية عيشهم ويخفف وطأة الحرمان عنهم ، حتى بلغ حب جنوده له حد العبادة .

اما العدو فقد وقف من رومل ابداً موقف الخصومة الشريفة . كان نبيلا في حربه وتبدت روح الفروسية الشريفة في كثير من مواقفه ، فلا عجب اذا وصف الجنرال كرامر ، آخر قادة الفيلق الالماني الافريقي ، حرب الصحراء بحرب الظرفاء .

على أن حرب الظرفاء هذه لم تخل من زجر وانتقام في بعض الاحايين.

وما كان الالمان دائماً هم البادئين ، من ذلك ان القيـادة البريطانية امرت بالا يقدم الطعام الى الاسرى الالمان الا بعد استنطاقهم لـكي لا تكون امامهم فرصة لترتيب افادتهم . وقد استاء الالمان من هذا التدبير وانتقموا من الاسرى الانكليز . وقد أصابني من هذا الانتقام نصيب ما ازال اذكره بمرارة ، اذ قضيت حين وقعت ، في الاسر ، ثلاثين ساعة لم اذق فيها طعاماً... ولكن سرعان ما لغت القيادة الانكليزية قرارها فحذت القيادة الالمانية حذوها .

على ان امراً وجد في اوراق جندي انكليزي من الفدائيين اسر اثناء غارة فاشلة على طبرق في آب ١٩٤٢ ، كاد يؤدي الى عواقب اوخم من بلك ، فقد ظهر في هذا الامر ، بعد ترجمته من اللغة الطليانية ، شبه امر تقتل الاسرى لان المهم انزال اكبر خسارة ممكنة بالعدو لا ايقاع الاسرى . ولعل الترجمة ساهمت في تضخيم هذا الامر وتحويره بعض التحوير . وكانت النتيجة صدور امر من القيادة الالمانية العليا بتوقيع هتلر في الثامن عشر من تشرين الاول ١٩٤٢ يوصي بافناء كل عدو من فرق الفدائيين يقع في الاسر سواء في اوروبا او افريقيا ، حتى ولو كان مرتدياً الزي العسكري وسواء أكان مسلحاً او أعزل . ويقضي هذا الامر بالتمييز بين امثال هؤلاء الجنود والجنود العاديين الذين يقعون في الاسر اثناء معركة مكشوفة او يستسلمون .

ولقد استنطق الجنرال سيغفريد ويستفال في نورمبرغ في الثامن عشر من حزيران ١٩٤٦ بصدد هذا الامر ، على هذا النحو :

س — هل حاربت في الجبهة الافريقية ؟

ج — نعم وبقيت هناك اكثر من سنة ونصف السنة

س — كيف كانت سيرة الحرب هناك ؟

ج — اجيب بكلمة : كانت الحرب في افريقيا تسير سيراً طبيعياً قانونية وسادتها روح الفروسية .

س — من هو قائدك ؟

ج — المارشال روميل .

س — هل اتفق حيناً ان أصدر روميل امراً مخالفاً لقوانين الحرب او أيد امراً من هذا النوع ؟

ج — كلا مطلقاً .

س — ماذا كانت وظيفتك ؟

ج — كنت رئيس شعبة «الاعمال الحربية» في مقر المارشال روميل ثم تسلمت رئاسة أركان حربه .

س — كنت اذاً على اتصال وثيق بروميل ؟

ج — كنت ابداً على اتصال بالمرشال سواء لشؤون شخصية او او لشؤون تتعلق بالخدمة .

س — هل تعرف بالامر الذي اصدره هتلر في الثامن عشر من تشرين الاول ١٩٤٢ ؟

ج — نعم .

س — هل تلقيتم هذا الامر ؟

ج — اجل، اتانا به ضابط اتصال الى الصحراء قرب سيدي براني .

س — كيف كان موقف روميل من هذا الامر ؟

ج — قرأت والمارشال روميل هذا الامر، ونحن واقفان قرب باب سيارتنا . واقترحت الا ينقل هذا الامر الى ضباط الرتبة الادنى ، وحرقناه حيث كنا . ولقد ادركنا ان سبب صدور امر كهذا هو ما تعرفونه عن تلك العبارة الشائعة في العلمين: «اقتلوا الالمان حيثما لقيتموهم»،

وامثالها من العبارات التي استهدفت تعميق جذور العداء بيننا . ولقد وقعنا على امر تلقاه لواء انكليزي يقضي بقطع الماء عن الاسرى. ولكننا ابينا ، رغم كل هذا ، ان تنفذ امر هتلر في صفوفنا فخرقنا الامر.

ولقد سئل الجنرال فيستفال بعد ذلك عن قضية قريب للمارشال الكسندر البريطاني اشترك باحدى حملات الفدائيين ، فروى الحادثة باقتضاب قال :

في خريف ١٩٤٢ اسر خلف الخطوط الالمانية ، احد اقرباء اللورد الكسندر . كان يرتدي قبعة من قبعات الفيلق الالماني الافريقي وقد تسلح بمسدس الماني ، وبذا خرج على قوانين الحرب واحل سفك دمه . ولكن الجنرال روميل ابى الا ان يعامله كما يعامل اي اسير حربي عادي . ولما اقترح احدهم على روميل اعدام هذا الانكليزي بادره مستنكراً :

— أتريدني ان اعدم قريباً للجنرال الكسندر ! يا لك من غبي ! أتود ان تزيد جيوش الانكليز فرقتين اخريين ؟

وعندي كثير من الامثلة على هذه المعاملة النبيلة التي كان روميل يعامل بها اسراه . ولعل ابرزها ما قصه عليّ الجنرال كليفتون الذي وقع في الاسر وهو على رأس لواء نيوزيلندي ، ولحق به في السجن :

ما كاد كليفتون يصل الينا حتى جعل يرسم خطة للهرب . واستطاع ذات يوم ان يهبط من نافذة البناية التي اسرنا فيها، في الطبقة الثانية، وتحين فرصة مرور الحارس وانطلق بكل قواه مجتازاً الاسلاك الشائكة حتى وصل الى محطة بونته دوليو ، ومنها ركب القطار خلسة الى ميلانو ومنها انتقل الى كوم . ولكنه ارتكب هناك غلطة احبطت خطته : كان يعتزم ، مثلما فعلت انا بعد حين لما هربت من الاسر ، ان يتبع الطريق المؤدية الى فيلا « ايسته » ثم يجتاز الجبال ليصل الى سويسرا . واراد ان

يقتل الوقت حتى يهبط الظلام فامتطى سيارة اجرة وجعل يجوب بها الشوارع . فلما انتهى من تجواله اراد ان يدفع للسائق اجرته فاختلف معه على هذه الاجرة وتناقشا بحدة لفتت اليهما الانظار وسرعان ما تقدم شرطيان طليانيان من كليفتون . وفي المساء عينه اعيد الى الاسر وزج به بيننا ثانية .

ثم نقلوا كليفتون الى المعسكر الخامس حيث يعاقب الاسرى الفارون . فحاول الهرب واطلق عليه الحراس النار حين كاد يهبط من احد السطوح ليطلق ساقيه للريح . وساقوه ، بعد ، الى المانيا . واذ كان في الطريق حاول ان يفلت من حارسيه ويلقي بنفسه من باب القطار وهو ينهب الارض نهباً فكان نصيبه جرحا في فخذه . وقضى عدة شهور في المستشفى حيث عالجه طبيب الماني وتوثقت بينهما اواصر الصداقة والمراسلة .

وفي الثاني والعشرين من آذار ١٩٤٥ هرب مرة اخرى من معسكر سيليزيا . وفي الخامس عشر من نيسان ذلك العام عبر المحيط الهادئ في طائرة اميركية وعاد الى بلدته اوكلاند في نيوزيلندا .

حين قابلت ارملة المارشال رومل كان من الاسئلة الاولى التي وجهتها اليّ : « أتعرف الجنرال كليفتون ؟ أين هو ؟ هل استطاع ان يهرب من الاسر ؟ كان زوجي يتوقع ابداً ان يستطيع كليفتون الافلات من ايطاليا كان يقدره وينظر اليه نظرة اعجاب . »

واليك قصة الجنرال كليفتون كما رواها لي :

«في الساعات الاولى من رابع ايلول ١٩٤٢ توجهت الى الخط الفاصل بيننا وبين العدو لاحاول ان انجد وحدة من قواتنا اضلت الطريق . ولكنني لم افلح في ادراكها، بل انني ضللت انا الآخر الطريق فوجدتني

مع رجالي بين مظليين طليان من فرقة « فولجيري » . وكدنا نخدعهم ، وعددهم خمسون ، ونعود بهم اسرى . واذ بضابط مدفعية الماني يسرع على الجلبة ويكشف امرنا فنقع في الاسر . وما لبث الاعداء ان ساقوني الى المركز الذي تركته قبل حين ، اذ كان الطليان والالمان قد احتلوه .

« كانت الساعة السابعة . ولكني ظننت ان دهراً قد انقضى منذ غادرت مقر قيادتي . . . بعد عشر دقائق دبّ النشاط في كل ما حولنا . واذ بضابط استخبارات يسرع اليّ قائلا ان رومل آت الينا . وان هي الا لحظات حتى وصلت ثلاث سيارات استطلاع تتقدمها سيارة ضخمة من سيارات اركان الحرب . كان رومل بلحمه ودمه جالساً في المقعد الخلفي فلما وقفت ترجل منها وبدأ الكولونيل الطلياني بالحديث . وبعد نقاش قصير استدعى رومل المقدم الالماني قائد الفوج . ثم جاء دوري للمثول امام رومل .

« كانت تلك اول مرة اواجه فيها رومل العظيم . تفحصته جيداً فاذا هو قصير القامة ، انيق عليه مظاهر المعتد بنفسه الراغب في لفت الانظار الى هندامه ... خاطبني رومل بالالمانية مع انه يجيد الانكليزية ، وجعل يكايدني بحديث عن اساليب قطاع الطرق التي يتبعها النيوزيلنديون في القتال، من ذلك ان بعض جنودنا اجهزوا بالحراب على طائفة من الجرحى الالمان في مينكاركيم خلف مرسى مطروح . وابدى رومل استنكاره واخطرني بان كل عمل من هذا القبيل نقترفه سيقابل باشد منه.

« كنت من اقرب الشهود الى تلك الموقعة . فسارعت اشرح لرومل حقيقة ما حدث : قلت له ان طلائع قواتنا التي هاجمت الالمان في تلك الليلة الظلماء قد اخذتهم على حين غرة فأوقعت فيهم قتلى وجرحى كثيرين . وحدث اثناء زحف جنودنا ان تحرك بعض الجنود الالمان وهم

مستلقون في الميدان واطلقوا بضع طلقات نارية او قذفوا بعض قذائف اليد ، فعاجلهم جنود النجدات بالحراب وقضوا على كل رجل تحرك من رقدته ولم يستسلم من فوره .

« قد تكون لهجتي في رواية ما حدث ، هي التي اقنعت رومل بصدق الرواية . المهم انه اجابني : « يجوز . وكثيراً ما يحدث مثل هذا اثناء المعارك الليلية... » ثم قص علي قصة ضابط الماني جريح القي في شاحنة تحترق . . . وسألني بعد حين : « هلا اخبرتني علام تقاتلون انتم معشر النيوزيلنديين ؟ هذه حرب اوربية لا ناقة لكم فيها ولا جمل . أهي الهواية ام الرياضة التي تدفعكم الى الحرب في هذه القارة البعيدة عشرات الوف الاميال عن قارتكم ؟

« اجبته وقد جمعت اصابعي حزمة واحدة وقلت : « الكومنولث مشترك بالحرب . وان انتم هاجمتم انكلترا فكأنكم هاجمتم نيوزيلندا واوستراليا... » عند هذا الحد وقف حديثنا . وودعني رومل متمنياً لي حظاً سعيداً ، وعاد الى مقره .

« بعد هذه المقاتلة بستة ايام هربت من مطروح. وقصة هربي تلك قصة طويلة انتهت في الصحراء حين خانني الحظ فوقعت في الفخ ثانية في الخامس عشر من ايلول على يد ثلاثة ضباط من الفرق الالمانية المدرعة كانوا يصطادون الغزلان على بعد عشرين كيلومتراً غربي جبهة العلمين . وكان أن مثلت مرة اخرى في حضرة رومل .

بادأني هذه المرة كتلك ، بعتاب قاس « لاساليبنا المتوحشة »، وشكا من ان قلعة طائرة هاجمت ، وهي على ارتفاع بسيط ، باخرة مستشفى كانت تغادر طبرق... ثم قال: « أما محاولتك الفرار من الاسر فلا عتب لي عليك فيها . ذلك واجبك ولو كنت مكانك لما فعلت الا ما فعلت

انت . »

« وجعلنا نتناقش في اي الاساليب اجدى للهروب من الاسر » ، وما كان ينبغي لي ان اصنعه وما لا ينبغي لي لكي انجو ... والحق يقال انني وجدت رومل من طينة تختلف عن الذين عرفنا من القادة الالمان . كان كلما مر امام احد جنودنا الاسرى يحييه كما يحيي اي جندي رفيق من رفاقه . وقد وافقني في هذا الشعور الجنرال هارغيست الذي اسر في سيدي عزيز حوالى نهاية تشرين الثاني ١٩٤١ وسيق في اعقاب رومل الى موقع البردعه . »

هذا ما رواه لي الجنرال كليفتون . واحسب ان الرواية صادقة ، بل لو اردت ان اضيف اليها امثلة على هذه الروح المرحة الخفيفة الظل التي كان يتحلى بها رومل لضاق بي المجال هنا .

## النهاية في افريقيا

تركنا رومل في نهاية حزيران وهو يدق ابواب الاسكندرية ... كانت العقبة التي اعترضته هذه المرة لا تذلل، اذ اصطدم بمراكز لم يألفها في الصحراء ووقف عاجزاً عن الالتفاف عليها . فقد كان جنب الانكليز الايمن محمياً بالبحر ، وكانت ميسرتهم ، على بعد سبعين كيلومتراً جنوباً ، محمية بالرمال المائعة في منخفض القطاره .

لم يكن الجيش الثامن في الحقيقة في موقف دفاعي بحت . والرأي الشائع حتى يومنا هذا بان هذا الجيش وقف في العلمين منكمشاً مذعوراً بعدما طرده رومل شر طردة الى داخل الاراضي المصرية في حين حرقت هيئة اركان الحرب البريطانية في القاهرة اوراقها كلها استعداداً للجلاء الى فلسطين او افريقيا الشرقية ، مبالغ فيه كل المبالغة .

على ان الحالة كانت خطرة جداً ، وحرقت فعلا بعض الاوراق ورحل بعض المدنيين والنساء وسحب الاسطول من الاسكندرية حيث كان معرضاً تعريضاً خطراً للغارات الجوية . واعدت القيادة خطة للدفاع عن قناة السويس بل للانسحاب منها الى فلسطين فالطرق اذا ساءت الامور ، ورسمت خطط لمتابعة الحرب في كندا اذا اضطرت الحكومة البريطانية ذات يوم لمغادرة الجزر البريطانية . ولكن الجنرال اوكنليك ما كان يفكر بالتخلي عن العلمين، مثلما لم يكن تشرشل يفكر بالرحيل عن

لندن .

كان الواقع بخلاف ذلك تماماً . فقد مضى الجيش الثامن طوال شهر تموز يشن الهجوم تلو الهجوم على العدو محاولا ان ينتزع المبادرة منه وان يرده عن مواقعه .

وقعت المعركة الاولى في الثاني من تموز بعد ان هاجم رومل العلمين في اول تموز واخفق في زحزحة الانكليز عنها ، واستمرت عدة ايام . وفي العاشر منه استولت الفرقة الاوسترالية التاسعة على موقع تل العيسي الهام ، غربي العلمين ، ورسخت اقدامها فيه رغم هجمات الالمان المضادة المتوالية . ثم استطاعت القوات البريطانية ان تتقدم في هضاب الرويسات وفتحت ثغرة في خطوط الالمان . وكانت كرة رومل على البريطانيين عنيفة . ولكن هجماته على الرويسات صدت .

ثم اخفقت محاولتان بريطانيتان لشق الجيش الالماني . واخيراً ايقن الجنرال اوكنليك ان لا سبيل الى شن اي هجوم موفق بما يملك من قوى واعتزم ان يعود الى الهجوم حوالى منتصف ايلول ، اذ تصله النجدات التي وعدته القيادة العليا بها وقوامها ثلاث فرق كاملة دربت تدريباً تاماً على حرب الصحراء ، ودبابات اميركية متوسطة .

ولقد أخر الجنرال مونتغمري الموعد الذي ضربه سلفه اوكنليك للهجوم اكثر من شهر(١)، واستطاع في اثناء فترة الانتظار هذه ان يحصل على فرقتين انكليزيتين اخريين وعلى عدد لا يستهان به من الدبابات الجديدة والمدافع الحديثة التي لا عهد للجيش الثامن بها من قبل.

صحيح ان مونتغمري انتزع النصر من فم الاسد ، وان ثقته بنفسه

---

١) تسلم الجنرال الكسندر والجنرال مونتغمري قيادتهما في الخامس عشر من اب ١٩٤٢

التي تتعدى كل حد قد الهبت رجاله حماسة وقداماً ، ولكن من الخطا ان نغالي في التعظيم فنقول ان الجيش الثامن ، حين تسلمه مونتغمري كان معدماً في ميزان القوى المقاتلة وصفراً في حساب المقاتلين . ففي تموز وحده استطاع ان يأسر سبعة الاف رجل ، وتمكن من صد رومل عن قناة السويس وشق الطريق للهجوم الكبير الذي لم يستطع القيام به في ذلك الزمن لفرط ضعفه عدداً وعدة .

قال الجنرال بايرلين ، رفيق رومل مبيناً رأي الالمان في الحالة حوالي تموز — آب : « كانت هجمات الجيش الثامن بين العاشر والسادس والعشرين من تموز موفقة وتمكنت عدة مرات من فتح ثغرة فيخطوطنا وكان السادس والعشرون من تموز يوماً حاسماً لنا ، اذ لم يبق لمدفعيتنا الثقيلة ذخيرة . ووقع رومل في مأزق واي مأزق وعزم على الارتداد الى حدود الصحراء اذا جدد الجيش هجومه . »

ولكن ، اذا تركنا جانباً كل اعتبار شخصي ، قلنا ان اوكنليك احسن اذ لم يستأنف الهجوم في ذلك الزمن . فلو فعل لاعطى رومل فرصة طويلة للنجاة من الهزيمة الساحقة التي كسحته كسحاً ، حين شن الجيش الثامن هجومه في مكان آخر على بعد ستمائة كيلومتر غرباً ، ولما امكن شن هذا الهجوم الا بعد خروج الجيوش الانكليزية والاميركية على افريقيا الشمالية في الثامن من تشرين الثاني . وحينئذ لكان رومل احس بالخطوط فانسحب الى تونس . وكيف لا ينسحب رومل ساعة يتيقن بانه عاجز عن فتح ثغرة في الخطوط البريطانية يزحف منها الى القاهرة ؟

هناك بعض القادة البريطانيين يأخذون على رومل ضعفاً في الادارة . ولكن من الانصاف ان نعترف بان الادارة لا يبقى مكان لها حين تنقصك اسبابها ، اعني المؤن والذخائر . ومن مماطلة القيادة الطليانية ما

يبعث اليأس في اعظم الاداريين العسكريين حنكة وحسن تدبير .

حوالي نهاية صيف ١٩٤٢ حين استرد الانكليز سيطرتهم على اواسط البحر الابيض المتوسط فعجزت القوافل الالمانية ان تمر قرب مالطه دون ان تمزقها الاساطيل المرابطة هناك ، خدع كيسلرنغ وكافاليرو ، الجنرال رومل اذ وعداه بنجدات ومدد كثير . وفي السابع والعشرين من آب ، قبيل معركة علما الحلفا وعدا رومل ، في مؤتمر عقد لبحث الحالة في الصحراء ، بان يؤمنا له ستة الاف طن من الوقيد منها الف طن يرسلانها اليه بالطائرات .

كان وصول هذه الكمية من الوقود ضرورة قصوى لرومل اذ توقف عليها مصير المعركة كلها . ولكنها لم تصل ، وما كان لكيسلرنغ ان يعد مثل هذا الوعد وهو العارف بمغبة وصول اسراب كبيرة من ناقلات اللهب الى جزيرة مالطه .

وبعد ، كان كيسلرنغ ، بوصفه القائد الاعلى للميدان الجنوبي ، منذ نيسان ١٩٤٢ ، رئيساً لرومل ، وكان بيده هو ان يأمر رومل سواء بالتقدم حتى العلمين او باجتناب الهجوم او بالتراجع .

كان هجوم رومل جريئاً الى اقصى آماد الجرأة . وحاول ان يسد النقص في قواه بالتفنن في حركات مداورة الجيش الثامن ومخادعته . وكان يرمي الى الالتفاف على خطوط البريطانيين الحصينة المرتكزة على منخفض القطارة المستحيل اجتيازه . ولو بلغ هذا الهدف لاوقع الجيش الثامن كله في فخ رهيب واقطع خطوط اتصاله جميعاً . ولكن من سوء حظه ان الجنرال الكسندرو والجنرال مونتغمري حسبا حساب هذه المداورة مثلما حسبها قبلهما الجنرال اوكنليك والجنرال دورمان سميث .

على هذا حشد مونتغمري معظم قواه المدرعة في منطقة التحصينات

البريطانية . واعتمد هو الآخر على المخادعة فترك خريطة زائفة تتسرب الى ايدي الالمان وفيها اشارة الى وجود طرق صالحة جنوبي علم الحلفا حيث لا طرق ولا مسالك بل رمال متحركة لا يمكن اجتيازها وقد وقع رومل في هذا الشرك . وساعد على احباط هجوم رومل ما بذله سلاح الجو البريطاني من عون ثمين للجيش الثامن .

ولما أدرك رومل انه خسر الجولة ، اخذ يتراجع في الثالث من ايلول . ولكن مونتغمري تريث عن حكمة فلم يطارده وفضل الانتظار واعداد العدة كاملة لهذه المطاردة .

بعد ثلاثة اسابيع مرض رومل واضطر ان يعود الى المانيا بالطائرة للتداوي . وقد زار هتلر ، قبل دخوله مستشفى سيمرنيغ ، في مقر القيادة العامة ، وابلغه ان الفرق الالمانية المدرعة واقفة على ابواب الاسكندرية ولكنها لا تستطيع ان تتابع الكر دون نجدات ومزيد من المؤن . فكان جواب هتلر هو الآخر مطمئناً ، وما كان رومل يطمع بوعد اكبر من هذا الوعد .

قال هتلر : « لا خوف يا رومل . سأرسل الى افريقيا كل النجدات اللازمة . وثق باننا سنبلغ الاسكندرية مهما يكن الثمن باهظاً . » بل انه ذهب في سبيل تشديد عزيمة رومل الى ابعد من ذلك فاراه دبابات « النمر » متراصة ومدافع الميدان الضخمة ذوات الفوهتين ، تلك الاسلحة الرهيبة التي قاسى منها الحلفاء الامرين في ايطاليا ، بعد زمن ، ووعده بان يكون المقدم على سواه في الحصول على هذه الاسلحة والمدرعات .

وثق رومل بادىء الامر بوعود هتلر ، حتى انه خطب في الثالث من تشرين الاول في الصحافيين الاجانب فتنبأ بان الالمان سيبلغون الاسكندرية قريباً ... ولكن ثقته ما لبثت ان ضعفت . وما انقضت خمسة عشر يوماً

حتى جعل الشك يضنيه ، وبدأ اول مرة يرتاب بهتلر .

على ان الرأي استقر اثناء تلك المقـابلة ذاتها التي جرت بين هتلر ورومل على ان لا يعود رومل الى افريقيـا فيعين قائداً لمجموع من الجيوش في اوكرانيا الجنوبية ، ويحل الجنرال شتوم محله في قيادة الفيلق الالمـاني الافريقي .

واذ كان رومل ، بعد ، في المستشفى خاطبه هتلر بالهاتف ظهر الرابع والعشرين من تشرين الاول واخبره بان انباء افريقيا سيئة جداً وسأله هل استعاد صحته لكي يعود الى افريقيا وهل يرضى بان يعود الى هناك؟.. كان رومل ، بعد ، مريضاً لما يكمل العلاج الموصوف له . ولكن انى لقلب كقلبه متعلق بفيلقه الافريقي ان يرفض العودة !

في اليوم التالي ، والساعة لم تجاوز السابعة ، ركب رومل الطائرة الى ايطاليا حيث قابل فون رينتيلن وفاتحه بأمر تأمين الوقود للفيلق الافريقي ، واستراح قليلا في جزيرة كريت ورجع في مساء اليوم عينه الى مقر قيادته في افريقيا الشمالية .

عاد رومل ، ولكن الالمان كانوا قد خسروا المعركة والقوا فيهـا بكل ما لديهم من قوى احتياط وسبق السيف العزل... ثم كان هجوم البريطانيين في تشرين الاول . وقد صدق حرس رومل فانهارت الفرق الطليانيـة كما تنهار بيوت من ورق... هكذا كانت الغلبة الساحقـة لمونتغمري وكانت له الى ذلك ، غلبة عظيمة في الرجال والعدة والذخيرة والمؤن جميعاً .

واعترف رومل لمساعده الجنرال بايرلين بان الالمان هزموا وخسروا معركة الصحراء الى الابد ، وذلك بعد ان حاول محاولته الاخيرة لاصلاح الحالة بهجوم مضاد حشد له كل ما وصلت اليه يده من قوى وتفـانى في

قيادته ولما يمض يومان على خروجه من المستشفى وهو مريض .

في الثالث من تشرين الثاني ، اذ بدأ رومل انسحابه العام ، تلقى هذا الامر من القيادة العليا : الحالة تقضي بالتمسك بموقع العلمين حتى الرجل الاخير ، لا تتراجعوا ولو خطوة واحدة . النصر او الموت !

كان الامر رهيباً لا يتفق والحالة الحرجة التي وصلت اليها القوات الالمانية ، وتنازع رومل عاملان : وجوب الانسحاب لاجتناب مجزرة في صفوف رجاله ، ووجوب الطاعة العسكرية العمياء لهذا الامر السخيف وتعريض قواته لكارثة محققة . وخالف رومل رأي الجنرال بايرلين ، فاذاع الامر على قواته ، فطلب الجنرال فون توما الذي كان على رأس الفيلق الافريقي الاذن بان ينسحب بفيلقه الى موقعي فوقا ودابه فرفض رومل ان يأذن له . ولكن فون توما سحب قواته اثناء الليل قائلا انه لا يستطيع ان ينفذ امراً يعرض قواته للفناء ويجعل الكارثة مبرمة ، وقد اغضى رومل عن هذه المخالفة .

وفي اليوم التالي تلقى فون توما تقريراً يخبره بان قوى بريطانية مدرعة اخترقت الخطوط الالمانية في الجنوب وكرت بسرعة خاطفة فاصبحت في مؤخرة الالمان . فاراد ان يتحقق الخبر بنفسة فتوجه الى الميدان ، ومرت الساعات ولم يعد الى مقره . فلما طالت غيبته قام الجنرال بايرلين يبحث عنه في سيارة القيادة ، وما ان اقترب بايرلين من موقع محصن حتى اصطدم بنيران حامية فاضطر ان يترجل ويتقدم نحو المرتفع ماشياً ، وقبل ان يبلغه رأى ما اطار لبه : فون توما واقفاً امام دبابته المشتعلة ودبابات انكليزية تطوقه ... وفي الميدان كانت جميع الدبابات الالمانية والمدافع المضادة للدبابات في هذا الموقع قد دمرت عن آخرها ...

انتظر بايرلين حتى رأى السيارات الانكليزية تتقدم من فون توما وتأسره وقفل راجعاً على عقبيه متخفياً . وفي مقر قيادته سمع الاذاعات تعلن نبأ وقوع الجنرال توما في الاسر . وفي تلك الليلة تعشى الجنرال فون توما مع الجنرال مونتغمري في نادي المقر العام . ودعا فون توما مونتغمري الى زيارته بعد الحرب...

كان هذا التأدب وهذه المجاملة مألوفين في حرب افريقيا ، وان أثار نقداً لاذعاً في انكلترا !

في الصباح التالي حل بايرلين محل فون توما على رأس الفيلق الالماني الافريقي، ولكن هذا الفيلق كان شبه معدم ، وكاد لا يبقى منه الا اسمه!

لم يبق رومل بعدما جاءت الهزيمة تنيخ عليه فوق المرض والتعب الا رجلا محطماً مسحوق القلب ، على انه استطاع ان يدير دفة التراجع بمهارة عظيمة ، وقد فقد كل امل في الارتداد على مطارديه : لم يبق لديه الا فرقة واحدة خليطة وثمانون دبابة امام سمائة دبابة انكليزية . وكان امله الوحيد ان يتجنب الكارثة وينقذ شيئاً... ولولا الامطار التي هطلت في السادس من تشرين الثاني واحالت الصحراء الى مستنقعات وعاقت حركة القوات التي اوشكت ان تقطع عليه خط رجعته لطوقه الجيش الثامن في مطروح .

كان تراجع رومل آية في فن الانقاذ العسكري...

في الثامن من تشرين الثاني اخرج الحلفاء قوات على افريقيا الشمالية ، فكان طبيعياً ان تفقد طرابلس الغرب كل شأن لها ، فلم يتلق رومل نجدات ، وحولت النجدات المعدة له الى تونس ، ونقلت بالبحر والجو . ولم تمض ستة شهور الا وكانت جميع هذه النجدات في الاسر . كان وقع الحادث اشد وقعاً على رومل من اي قائد سواه وهو الذي بح

صوته في طلب النجدة حين كان على ابواب الاسكندرية يمسك بمفتاح الشرق الاوسط باسره ويقبض على خناق الانكليز ، فلم يفلح في الحصول على شيء منها ، ثم رآها تتدفق بلا حساب الى افريقيا الشمالية لتحارب حرباً خاسرة سلفاً ...

ظل رومل يتراجع حتى طرابلس الغرب تراجعاً طويلا مضنياً استخدم فيه كل حكمته وحسن تدبيره لينقذ رجاله وقوامهم خمسة وعشرون الف طلياني وعشرة آلاف الماني ، ومعداته وما كانت تتعدى ستين دبابة . وما انفك ينصب للانكليز الشرك تلو الشرك ليؤخر زحفهم الى ان كان سقوط طرابلس بايدي الانكليز في الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٣

وقد سبق سقوط طرابلس ،حوالى نهاية تشرين الثاني ان استدعي رومل الى المانيا وكان له موقف عسير امام هتلر: حاول رومل ان يقنع الفوهرر بان الحالة في افريقيا الشمالية تدعو الى اليأس المطلق وبان الافضل تضحية العتاد وانقاذ بقايا الفيلق الالماني الافريقي واعادة تنظيمه ليقاتل في ايطاليا ، فكان رد هتلر قاسياً وكان تأنيبه لرومل شديداً . واصر على وجوب الاحتفاظ بطرابلس مهما يكن الثمن باهظاً والا عقد الطليان صلحاً منفرداً مع الحلفاء . ثم اشتدت حملته على رومل وصرفه غاضباً ... الا انه عاد فاصلح الامر مع رومل ودعاه الى مقابلة في اليوم التالي يحضرها غورنغ .

وكانت المقابلة في اليوم التالي ، واصدر هتلر اثناءها الى غورنغ الامر بان يتدبر النجدات المطلوبة للفيلق الالماني الافريقي كي يستطيع النجاة .

اصطحب غورنغ المارشال رومل الى روما في قطاره الخاص ودعا السيدة رومل الى مرافقتهما . وكان مدار حديث غورنغ طول الرحلة

على الرسم والرسامين . وابى ان يخرج من هذا الموضوع الى الموضوع الاساسي الذي كان يشغل رومل . وكذلك كان شأنه في فندق اكسلزيوز حيث حل الثلاثة في روما ، اذ قضى غورنغ وقته في البحث عن لوحات ونحوت وتماثيل !

قالت لي ارملة رومل تحدثني عن تلك الحقبة من تاريخ زوجها : كان من عادته التفاؤل والاستبشار ابداً . وقد حدثني غورنغ ذات يوم بامره ولاحظ انه يبدو كئيباً منقبض الصدر ، فاجبته ان ذلك ليس من عادته ولكنه بدأ ينظر الى الامور نظرة واقع ويدرك حقيقة الحالة ... وسئم رومل آخر الامر ومل الانتظار فطار عائداً الى افريقيا وقد اخذت منه الخيبة كل مأخذ ...

وبالرغم من سقوط طرابلس لم تنته مهمة رومل في افريقيا الشمالية . وقد صار في الحادي والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٣ قائداً اعلى للجيش الالماني المدرع في افريقيا ، وظل في منصبه هذا حتى الرابع والعشرين من تشرين الاول ، ثم تسلم زمام القيادة العامة للجيوش الالمانية والايطالية في تونس .

كانت القيادة الالمانية العامة تصر في اعتقادها بان الاحتفاظ برقبة جسر في تونس ممكن ، طمعاً في اشغال جيش كبير من جيوش الحلفاء وشل حركته كيلا يستخدمه الحلفاء في ميادين اخرى . ومن عجب ان تكون قيادة جيوش المحور في هذا الميدان قد اعطيت لرومل وهو الذي لم يؤمن لحظة بامكان تحقيق الخطة .

ورغم ذلك كانت لرومل جولات عنيدة في افريقيا الشمالية تركت الحلفاء مأخوذين امام متانة اعصابه وشدة مراسه رغم مرحلة التراجع الطويلة المضنية التي اجتازها .

ولطالما قام رومل بهجمات جريئة صاعقة ليشق طريقاً لقواته او يلقي البلبلة في صفوف اعدائه ، اوقعت القادة الحلفاء في احرج المواقف واخطرها ...

... وفجأة ، ومعركة ماريت توشك ان تبدأ ، طار رومل الى المانيا ، وقيل الكثير في تعليل سفره هذا ، فذهب الجنرال ايزنهاور مثلا الى القول بان رومل ، حين ادرك ان هزيمته محققة هرب قبل انقضاض الصاعقة لينجو بجلده . ولكن ما من عارف بتاريخ رومل العسكري يسلم بهذا الرأي ويقول مع ايزنهاور بان رومل انما اراد ان ينقذ رأسه فما كان رومل ، منذ صار جندياً ، يقيم وزناً لرأسه امام بلوغ اهدافه او رسم خططه .

وقيل ان رومل انما عاد الى المانيا لان الطليان طلبوا اقالته. ولكنني لم اجد اية قرينة تثبت هذا الزعم . ولعل اعتلال صحته او القيام بمعالجة ضرورية خطرة ، هو السبب الوحيد لعودته الى المانيا . اما قول بعضهم بان هتلر هو الذي استدعاه كي لا يقع في الاسر فيكون وقع ذلك سيئاً في نفوس جنوده ، فلا يقوم على اساس وذلك لان هتلر ما كان ، بعد ، يدرك انه خسر المعركة الى الابد في تونس .

واقد انتظرت القيادة الالمانية العامة حتى الثامن من ايار قبل ان تأمر بجلاء جميع الجيوش الالمانية والايطالية من افريقيا بحراً . وكان الاوان قد فات ، وتم استسلام الالمان والطليان بعد اربعة ايام .

اما اسرة رومل فتقول في امر عودته الى المانيا انه انما عاد ليطب الى هتلر ان يسمح بتضحية المعدات الحربية لانقاذ الجنود ، ولكن كان الفشل نصيب مسعاه هذا . فلما طلب ان يعود الى افريقيا ليحاول تدارك الحال رفضت القيادة العامة ان تسمح له بذلك . وليس عندي من سبب للشك

في رواية اسرة روممل هذه ...

لم ينس الفيلق الالماني الافريقي قائده وبطل امجاده روممل . فقد ظل على ولائه له وعلى تمسكه بتعاليمه ودروسه ، فظل يقاتل حتى النهاية بالعناد ذاته الذي قاتل به حين كان روممل على رأسه . وكذلك كان شأن خصوم روممل اذ ظلوا يذكرونه حتى اللحظة الاخيرة من معارك افريقيا ويسمون قوات الالمان بقوات روممل ...

لقد قال المارشال كايتل كلمة الختام في معركة افريقيا ، كلمة الندم والاسف والتفجع هذه :

« كانت العلمين فرصة من اثمن الفرص التي مررنا بالقرب عنها واضعناها . واستطيع ان اقول اننا في تلك المرحلة من الحرب كنا اقرب الى الظفر العام مما كنا في اي زمان قبلها او بعدها . لم يبق علينا يومذاك الا بذل جهد قليل لكي نفتح الاسكندرية ونكر على قناة السويس او فلسطين ... »

# رومل في الجبهة الغربية

في اواخر صيف ١٩٤٣ كان كثيرون من القادة الالمان في الجبهة الروسية يتمنون ولو بجدع الانف ان يبدلوا بمركزهم مركز رومل. كان رومل يقود مجموعة الجيوش « ب » في ايطاليا الشمالية وقد جعل مقر قيادته على شاطىء بحيرة « لاغرد » . فقد استدعاه هتلر هاتفياً من اثينا الى حيث اوفده ، بعد اسابيع من عودته من افريقيا، مدة اربع وعشرين ساعة بعدما اشاع ان الانكليز يفكرون بغزو اوروبا من البلقان : وكان استدعاؤه هـذا بعد نبأ سقوط موسوليني في الخامس والعشرين من تموز ١٩٤٣ . وكانت مجموعة الجيوش « ب » بعد ، في طور التكوين في ضواحي مونيخ ، وقد بدأ هتلر يشعر بان الطليان يفكرون بالاستسلام للحلفاء وربما لمحالفتهم على الرايش .

وازدادت شكوك هتلر حين توجه رومل يرافقه الجنرال يودل الى مقر الجنرال بادوليو ليبحث معه بامر ارسال قوات المانية الى ايطاليا ، فقد تذرع الجنرال رواتا ، رئيس هيئة اركان حرب بادوليو ، بكل ما استطاع من حجج لكي يؤخر ارسال مثل هذه القوات مدعياً ان حدثاً كهذا يثير حفيظة الشعب الايطالي . واعترض رواتا كذلك بشدة على استعانة الجنرال يودل بافراد الحرس الالماني الاسود بين رجال حرسه ، كما لو كان يودل يرضى مثلا بان تعين القيادة الايطالية كتيبة من اليهود

لحراسته !

كانت نتيجة المقابلة ان قرر رومل وجوب الاسراع بارسال مجموعة الجيوش « ب » الى ايطاليـا . وفي صباح التاسع من ايلول رأيت من معتقلي دبابات رومل من طراز « النمر » وهي تدرج على طريق ريغبرغارو متوجهة الى بلزانس لتحتلها .

... ثم كان استسلام ايطاليـا وتوقيعها الهدنة مع الحلفـاء ، فبلغ غضب الالمان منتهاه وردوا على الطليان رداً عنيفاً لا رحمة فيه . ولقد خرجت من المعتقل، يوم اعلن خبر الهدنة بيننا وتنكرت بزي احد باعة المعتقل وخرجت لاول مرة منذ ستة عشر شهراً ، اذوق طعم الحرية ولـكن الدبابات الالمانية ما لبثت ان ظهرت فاصابني منظرها في صميم آمالي بالنجاة ، ولم يلبث ان ظهر في الجوار بعض رجال الحرس الاسود الالماني فقضوا على آمالي قضاء مبرماً .

واستتب الامر للالمان في ايطاليا . ومـا هدأت الاحوال حتى بدأ رومل يتبرم بمنصبه المريح في ايطاليا ، وهو الرجل الناري الذي لم يعتد ان يقتل نهاره في النزهة على شاطىء البحيرات الايطـالية الجميلة . ولعل من اسباب نفوره كذلك ، انه كره ان يصبح ثانية بامرة المارشال كيسلرنغ ...

الى ان كان مطلـع تشرين الثاني فابلغته القيادة العامة امر تعيينه مفتشاً للدفاع الساحلي في الغرب من مضيق سكاجراك في نروج حتى الحدود الاسبانية وطلبت اليه تقريرا عن قدرة هذا الدفاع على مقاومة غزوة من البحر .

لم يكن بد من معاون بحري يساعد رومل في مهمته الجديدة هذه ،

١) المؤلف هو المتكلم هنا وقد كان في الاسر حينذاك .

فأوصاه الجنرال غوزي الذي كان رئيس اركان حربه في افريقيا الى ان جرح في ٣١ ايار ١٩٤٢ ، بان يختار الفيس اميرال روج ، قائد القوات البحرية الالمانية في ايطاليا ، ففعل واستدعى هذا الاميرال ، وسرعان ما توثقت بينهما اواصر الصداقة اذ اتفقت مشاربهما ودماثة خلقهما واستقامتهما .

بدأ روج عمله بمعية رومل في العاشر من تشرين الثاني واوفد الى برلين ليجمع كل ما يمكن جمعه من خرائط ووثائق وتقارير . ولكنه ما كاد يجمعها وينظمها حتى قضت عليها غارة جوية . وما استطاع رومل وروج ان يبدآ عملهما في الدانمرك الا في مطلع كانون الاول .

درس رومل حالة الدفاع عن ساحل الدانمرك مدة عشرة ايام ثم انتقل الى فونتينبلو وشرع بدرس حالة الساحل الافرنسي . وقد هاله ما وجد : لم يكن جدار الاطلنتيك ، ذلك الجدار الذي تفنن الالمان في الاشادة بجبروته واخافت به الدعاية الالمانية الحلفاء وكل من سمع بذكره ، الا خدعة ، وسوراً من ورق يكفي ان ينقض عليه الحلفاء لينهار شر انهيار .

كانت المدافع الساحلية تحمي الموانيء الكبرى ، فعلا وقد زودت هذه المدافع بتروس فولاذية تحميها ، ولكن المدافع البرية المنصوبة في الداخل ظهرت ضعيفة معرضة للضرب بسولة مغروزة في الارض لا في قليعات من الاسمنت او ابراج من الفولاذ تقيها شر القذائف ، وكذلك كانت سلسلة نقاط الارتكاز الدفاعية مجردة من ملاجيء متينة ومعرضة تعريضاً خطراً للغارات الجوية . اضف الى هذا ان نقاط الارتكاز لم

١) يعيش الاميرال روج اليوم في كوكسههفن في المانيا حيث يعلم الاسطول البريطاني، اللغة الالمانية، وقد اجتمع به الجنرال ديزموندينغ واضع هذا الكتاب.

تحظ بحقول من الالغام . وكان كل ما بث من الالغام مليوناً وسبعمائة الف فحسب في ثلاث سنين . والالغام الساحلية هي الاخرى كانت قليلة . اما العقبات على الساحل فاضعف من ان تستطيع الثبات امام الدبابات حتى الخفيفة

اما جيوش الدفاع فكانت ضعيفة مجموعة من حدب وصوب . ولا غرو فقد امست المانيا في ذلك الزمان مركز راحة واستجمام للفرق الالمانية المنهوكة القوى والقادة الالمان المتعبين في حرب روسيا.

ولكن من سوء حظ الالمان لم يكن رومل حراً في التصرف . فما استطاع ان يصدر امراً مباشراً الى الجيوش وكل ما استطاعه هو تقديم وصاياه الى المارشال رونشتيد القائد العام في الجبهة الغربية . وعلى هذا لم يتح ان يحقق اي عمل فعال لتقوية جدار الاطلنتيك المهلهل .

في نهاية كانون الثاني عين رومل قائداً اعلى للجيوش الالمانية من هولندا حتى نهر اللوار في فرنسا، فشرع في خطة مرسومة لتعزيز جدار الاطلنتيك . ومن حسن حظ الحلفاء ان رومل لم يستمر في خطته هذه ستة شهور اخرى . فلو كان له ذلك لكان غزو القارة الاوروبية اصطدم بعقبات اعظم بكثير من التي اعترضت سبيله .

وقامت بوجه رومل صعاب كثيرة منها كثرة القيادات وانعدام الوحدة في مختلف فروع الدفاع ، وقلة ثقة القائد العام في الجبهة الغربية فون رونشتيد بجدوى التحصينات الدفاعية الثابتة ، ومشاركة القيادة الالمانية العامة لفون رونشتيد في رأيه هذا وتهاونها في دعم خططه . زد على هذا كله ان سرعة الطاعة التي كانت من اقوى دعائم هذا القائد الفذ في قيادة الفيلق الالماني الافريقي في الصحراء قد خانته في فروع الدفاع التي وضعت بتصرفه في اوروبا الغربية .

على ان رومل استطاع رغم كل هذه الصعاب ، ان يفعل الاعاجيب في هذا الميدان الجديد وان يستخدم عبقريته في الارتجال . فقد زرع ، في بضعة شهور ، ملايين من الالغام واعتزم ان يحصن نقاط الارتكاز جميعاً ويقيم امامها متاريس وعقبات تسد الطرق بوجه الدبابات . ورسم خططاً لو نفذت لاخرت تقدم جيوش الحلفاء الخارجة على فرنسا تأخيراً خطراً عليها أشد الخطر . وكانت خططه كلها تقوم على هذا الاساس : يجب ان نوقف العدو على الساحل ونحطم آلة حربه وهو بعد ، في البحر .

وقد خالفته في ذلك القيادة العامة والقائد الاعلى في الجبهة الغربية وكثرة قادة الجيش ، وقالوا بضرورة حشد جيوش احتياط كبيرة في المؤخرة تتقدمها الفرق المدرعة لكي تشن هجوماً مضاداً على الجيوش الحليفة الغازية بعدحصر جهودها في اماكن معينة، ثم تلقي بها الى البحر... ولكن رأي رومل كان أصوب خصوصاً في صدد فعل الغارات الجوية الحليفة ، تلك التي بلاها في الصحراء وعرف حقيقة عواقبها .

قال الجنرال مونتغمري في وصف رومل ، خصمه العنيد القديم ، متكهناً بخطته :

« في شباط الماضي (كتب مونتغمري ذلك في ايار) تسلم رومل قيادة قوات مرابطة بين هولندا واللوار . وسرعان ما اتضح انه كان يهدف الى التغلب علينا في المناطق الساحلية قبل ان نتوغل في الارض الفرنسية . وقد تبدل كل شيء منذ تسلم رومل القيادة ، فهو قائد نشيط حازم عنيد معتد بنفسه . انه أحسن قائد عرفته في فنون المفاجأة .

« سيحاول رومل ان يرمينا في البحر مثلما فعل بنا الالمان في دنكرك مجتنباً حتى الخوض في معركة دبابات في ميدان يختاره هو ، مفضلا على ذلك ان يمنع دباباتنا من التوغل في اليابسة باستخدام دباباته في الخطوط

الاولى الساحلية . فعلينا ان نشق طريقاً الى اليابسة ونرسخ اقدامنا عليها قبل ان يتاح له الوقت الكافي لجلب قوى احتياطية كافية . ومن واجب وحداتنا المدرعة ان تسرع في التوغل نحو الداخل وتمهد لنا الطريق لكي نحتل مراكز ثابتة ،

ولا بد في اثناء ذلك، من ان يكون سلاحنا الجوي سيد الموقف لكي يستطيع ان يعوق النجدات الالمانية في ميادين القتال ولكي يدهمنا في المعارك البرية التي ستكون رهيبة »

وهذا ما فعله رومل حقاً حين بدأ غزو الساحل الفرنسي ... كانت الساعات الاربع وعشرين الاولى حاسمة في مصير الحملة كلها . ولكن الحلفاء استطاعوا ان يقيموا مواقع ثابتة لهم على اليابسة بمعونة الغارات الكاسحة التي شنها سلاحهم الجوي الجبار، وكثرة القوى التي استخدموها في حملتهم وما كانت خطة رونشتيد القائلة بمواجهة القوات الخارجة على اليابسة بعد توغلها ، باصلح من خطة رومل في احباط الغزو الحليف. بل لم يكن ثمة خطة مقاومة واحدة كفيلة بوقف خروج الجيوش الحليفة على اليابسة .

لم يستطع رومل ان يحشد قوى مدرعة كافية في مؤخرة ساحل النورمندي ، كان كل ما لديه من قوى على طول الجبهة العريضة الممتدة من الايسكو — اللوار ثلاث فرق مدرعة ضعيفة. اما باقي القوى فكانت موضوعة في الاحتياط بتصرف القائد الالماني الاعلى في الجبهة الغربية فون رونشتيد . وما كان هذا يستطيع تحريك هذه القوى الاحتياطية الا بامر من كايتل او يودل او هتلر . ولقد جاء هذ الامر متأخراً كالعادة .

وتوالت تقارير رومل تصف تطور الحالة في الجبهة الغربية دون ان

يخفي حرج الموقف، وجعل يتدرج في الكشف عن سوء الحالة غير عابئ بموقف القيادة العليا واستيائها من الحقائق السافرة المحزنة . ومما قاله في تقرير قدمه في الثاني عشر من حزيران عن الحالة في اليوم السابق :

« يزداد تدفق العدو وضغطه علينا في البر أسرع بكثير من تقدم نجداتنا المرسلة الى الخطوط الامامية ... والان لا بد من ان تكتفي مجموعة الجيوش التي اقودها بتوحيد جبهتها بين نهري اورن وفير ، تاركة الميدان فسيحاً امام العدو يتقدم فيه ويتوغل ... محال ان نستطيع بما لدينا من قوة ان نبدل القوات التي تدافع عن بعض المواقع الساحلية ... ويزيد في عرقلة هجماتنا المضادة وحركاتنا ، تلك الغلبة الساحقة التي ينعم بها عدونا في قواه الجوية ومدفعيته البحرية الثقيلة .

« والواقع ان العدو يسيطر سيطرة مطلقة على الجبهة ، فقد استطاع ان يوقف جميع قوافلنا في النهار بسلسلة من الغارات الجوية الكاسحة ، وعجزنا عن جلب الذخيرة والمؤن ، وحركاتنا في منطقة القتال شلت هي الاخرى . اما دفاعنا المضاد للطائرات فلا يقل ضعفاً عن سلاحنا الجوي . وبعد فالجيوش الايطالية والاميركية مسلحة باسلحة حديثة من مختلف الصنوف والانواع وتفوقنا في القوة والعدة بمراحل .

« وحدث عن كثرة القوات الهابطة بالمظلات ولا حرج ، فهي تهطل علينا كالمطر ، فلا نجد سبيلا الى درئها .

كل ذلك جعلنا في مركز حرج في غاية الخطر ، وارى ان لا بد من اطلاع الفوهرر على حقيقة الحال »

« رومل »

في السابع عشر من حزيران أقنع فون رونشتيد الفوهرر بان يرأس مؤتمراً حربياً في مارجيفال قرب سواسون في فرنسا ، واستدعى روسل

الى هذا المؤتمر ، وهناك جعل المارشالان يرسمان صورة للحالة السيئة مؤكدين ان كل امل في طرد الغزاة الى البحر قد مضى وانقضى ولم يبق بد ، لانقاذ الموقف ، من التراجع واقامة خط جديد ، ثم اعادة تنظيم الفرق المصفحة ووضعها في الاحتياط ، ولكن هتلر رفض كل فكرة تقوم على التراجع...

ثم حاول فون رونشتيد ورومل ان يخوضا في بحث فكرة خطيرة ، هي مفاتحة الدول الغربية بامر صلح منفرد، فقطع هتلر المؤتمر على الفور.

اقتصرت تقارير رومل طوال بضعة الاسابيع التي تبعت ذلك المؤتمر على سرد الاحداث دون ان تتضمن اي رأي بصدد المستقبل ، اللهم الا اشارة الى ان كثرة الخسائر في صفوف الالمان تحدث مشكلة هائلة تتزايد يوماً فيوماً ، وانما عنى مشكلة تعويض هذه الخسائر .

ثم كان مؤتمر آخر حربي في برشتسغادن حضره فون رونشتيد ورومل وخرج منه هذا مغضباً اذ قال له هتلر بحضور كايتل ويودل: ثق بان كل شيء يتحسن اذا حزمت امرك على القتال بروح اقوى ونشاط اعظم وايمان اثبت !

*

في السابع عشر من تموز ظفر سلاح الجو الحليف بجلد رومل فازاحه من اهون سبيل...

لم يكن في الحادث ما يدهش ، فما سيارة رومل الا واحدة من الوف السيارات التي انقضت عليها الطائرات الحليفة على طرق النورماندي في تموز ١٩٤٤ .

كان يرافق رومل حين اصيب اثناء تلك الغارة الجوية ، الكابتن هلموث لانغ ، وقد روى هذا الضابط تفصيل ما حدث قائلا انه كان من

سوء حظ رومل وحظه انهما سلكا طريقاً كانت الطيارات الحليفة تجوبها وتضرب كل سيارة تشاهدها عليها .

قال الكابتن لانغ :

« في السابع عشر من تموز كان المارشال رومل ، على جري عادته كل يوم ، يتجول في الجبهة ويتفقد احوالها . ولقد زار ميادين فرقتي المشاة الـ ٢٧٦ و٢٧٧ حيث صد الالمان في الليلة السابقة هجوماً كبيراً ، ثم توجه الى مقر قيادة فيلق الحرس الاسود الثاني المصفح حيث تداول مع الجنرال بيتريك والجنرال سيب ديتريش .

« كان علينا ان نحسب حساب الطائرات الحليفة ، اذ مضت تتجول فوق ميادين القتال مسترشدة بالغبار المتصاعد من حركة السيارات .

« حوالى الساعة السادسة عشرة غادر رومل مقر قيادة ديتريش وقفل راجعاً ليصل الى مقر قيادته العامة اذ كان العدو قد اخترق الخطوط الالمانية في قطاع آخر .

وكنا على طول الطريق نلتقي قوافل تلتهمها النار ، واضطررنا عدة مرات ان نسلك دروباً جانبية لنتجنب قاذفات العدو . وحوالى الساعة الثامنة عشرة وصلت سيارة المارشال الى ضواحي ليفارو حيث انتشر عقد قافلة المانية بعدما شتتها القاذفات المنقضة وجعلت تجهز عليها . وتحولنا عن الطريق الى درب جانبي تظلله الاشجار لكي نصل الى الطريق العامة المؤدية في فيموتيه .

« كدنا نبلغ هذه البلدة واذ بثماني قاذفات معادية تحلق فوق ليفارو ، وقد علمنا بعد حين انها قطعت طريق ليفارو في الساعتين الماضيتين .

« حسبنا ان الطائرات لم تبصرنا فتابعنا المسير على طول الطريق العامة المؤدية من ليفارو الى فيموتيه ، وفجأة اخطرنا مرافقنا السرجان

هولك بان طائرتين تقتربان منا على طول الطريق . فامرنا السائق دانيال بان يسرع ويسلك طريقاً جانبية الى اليمين لم يكن يفصلنا عنها اكثر من ثلاثمائة متر لكي نلتجىء فيها .

« ولكن الطائرات ادركتنا قبل ان نبلغ تلك الطريق وهي تطير قريبة منا ، فكأنها فوق رؤوسنا وهديرها يصم الآذان ... اطلقت اولاها النار علينا من رشاشاتها حين كان المارشال رومل يدير رأسه ، فاصابت الرشة الاولى ميسرة السيارة ، واصاب الرصاص كتف السائق دانيال وذراعه اليسرى ، واصيب رومل بجرح في وجهه من شظايا الزجاج وبصدمة عنيفة في فكه وفي صدغه الايسر ، ( لعلها صدمة بمقدمة زجاج الواجهة ) احدثت ثلاثة كسور في جمجمته فاغمي عليه . واصيب الميجر نوهوس بقبضة مسدسه فتحطم وركه من شدة الصدمة .

« واضاع سائقنا دانيال سيطرته على السيارة بعدما اصيب بجراح بليغة ، فاصطدمت بجذع شجرة وقذفت الى ميسرة الطريق ثم وقعت في حفرة ، فطرت انا ( الكابتن لانغ ) وطار معي السرجان هولك من السيارة والتجأنا في احد جوانب الطريق .

« اما رومل الذي كان في بداية الهجوم يمسك قبضة الباب ، فقد قذف من السيارة حين انقلبت ووقع على بعد عشرين متراً منها ... ثم حلقت فوق رؤوسنا طائرة ثانية وحاولت ان تصيبنا يعض قنابلها .

وسارعت من فوري الى المارشال رومل وساعدني السرجان هولك فنقلناه الى جانب الطريق حيث مددناه في مكان امين وكان بعد فاقداً وعيه والدماء تنزف من جراحه الكثيرة ، خصوصاً في عينه اليسرى وفمه ، وتصبغ وجهه وثيابه .

« كانت اصابة رومل في صدغه خطرة ، وعبثاً حاولنا ان نعيد اليه

رشده ... ومضيت ابحث عن سيارة لكي نسعف الجرحى. واستغرق البحث ثلاثة ارباع الساعة الى ان حظيت بها.

«حملنا رومل الى طبيب فرنسي فضمد جراحه في مستشفى للراهبات. كانت الجراح بليغة، وقال الطبيب ان الامل ضعيف بانتزاع رومل من الموت . . . ونقل رومل بعد حين مع دانيال من هذا المستشفى الى مستشفى برناي البعيد خمسة واربعين كيلومتراً عن تلك البلدة. واعطى الاطباء تقريرهم عن اصابات رومل، فاذا فكه قد طحن طحناً، واذا جمجمته مصابة بثلاثة كسور احدها في الاسفل والآخران في الصدغ، واذا عينه اليمنى مجروحة جرحاً بليغاً.

«بعد بضعة ايام نقل رومل الى عيادة البروفيسور ايش في فيسينه قرب سان جرمان.»

*

في مطلع تموز اقيل فون رونشتيد من منصبه عقاباً له اذ انه عرض على كايتل فكرة عقد صلح منفرد مع الغرب، وعين الجنرال غونثر فون كلوغه خلفاً له، وكان هذا قد عاد حديثاً من الجبهة الروسية.

لم يثبط هذا الاخطار الموجه الى جميع القائلين بالكف عن القتال في الجبهة الغربية عزيمة رومل، فما كاد فون كلوغه، القائد الاعلى الجديد في الغرب، يتسلم زمام قيادته، حتى بعث اليه، بالاتفاق مع الجنرال سبيدل بتقرير خاص (قبل ان يصاب بحادث الغارة بيومين) طالباً ان ينقل الى الفوهرر رأساً.

عاد رومل في تقريره هذا فوصف الحالة في جبهة النورماندي دون مواربة، قائلا انها تزداد سوءاً وتنذر بشر مستطير. وانطلق يصف تفوق العدو بالمدفعية والمصفحات ويكشف ثقل الخسائر الالمانية وقلة

المدد وسوء العدة وكل ما تعانيه الجيوش الالمانية من نقص وضعف في السلاح واسباب القتال ، يضاف الى ذلك العطل الهائل الذي انزلته طائرات الحلفاء بالخطوط الحديدية وطرق الاتصال جميعاً ، وتدفق المدد والنجدات على العدو ليل نهار .

وانتهى روملِ من هذا الوصف الصريح الدقيق الى هذه النتيجة : اذا ظل الحال كما هو يجب ان نتوقع خرق جبهتنا الواهنة خصوصاً في قطاع الجيش السابع ، ومن ثم يكر العدو ويتوغل في فرنسا .

وذيل روملِ تقريره بهذه العبارة كتبها بيده : « فعسى ان تعترفوا بواقع الحال والمغزى السياسي الذي ينطوي عليه ، ولقد رأيت من واجبي ، وانا قائد مجموعة الجيوش «ب» ان اصارحكم بهذه الحقيقة دون مواربة ولا خداع . »

احال فون كلوغه هذا التقرير الى الفوهرر وارفقه بكتاب ابدى فيه رأيه جريئاً صريحاً ، قال :

« هذا تقرير من روملِ بعث به الي قبل اصابته في الحادث المعلوم ، ولقد تشاورت معه بامر ما يتضمنه . ولا املك ، والاسف يمضي ، الا ان اقول انه لا يتضمن الا الحقيقة التي لمستها بعد اتصالي بالقادة في مختلف الميادين ، ولا سيما قادة الحرس الاسود . والحق يقال : ما من سبيل الى ادارة دقة معركة امام قوة معادية هائلة كالتي يسوقها العدو علينا ، دون التراجع والتخلي عن مواقع معينة .

« لقد داب العدو على ضربنا بسيول من قنابله تتساقط على جيوشنا كالصواعق المتلاحقة المتكاثفة . وضرب من هذا العيار الثقيل لا بد ان يسحق قوى الجنود المعنوية سواء اكانوا ابطالا ام رعاديد .

« لقد جئت الى الجبهة منذ اسبوعين وانا عازم عزماً اكيداً على ان

انفذ اوامركم واثبت الجبهة مهما كان الثمن . ويؤسفني اليوم اشدالاسف ان بلوغ هذا الهدف لا يمكن ان يكون الا بتعريض جيوشنا للفناء البطيء المحتوم . »

بعد خمسة اسابيع عزل المارشال فون كلوغه من منصبه وقضى نحبه منتحراً ...

# رومل في آخر ايامه

نهضت المانيا اليوم واخذت تستعيد قواها بسرعة ، وكاد الناس ينسون الهزيمة العسكرية . فهم منصرفون الى شؤونهم العادية وينعمون براحة لا ينعم بها الظافرون انفسهم . ولكن جو المانيا مكهرب وفيها رواسب تبعث القلق وتشعرك بانك في جو يضيق الصدر بهوائه .

ذلك بان الاحداث الداخلية التي تعاقبت على المانيا في ايامها الاخيرة وما تخللها من دسائس ومكايد وبطش الالمان بعضهم ببعضهم الآخر قبيل انهيار النظام النازي ، كل ذلك ترك آثاراً لا تمحى بالسهولة التي امحت بها احداث الحرب .

لمست هذه الاثار وشعرت بانقباض وانا جالس في مسكن ارملة رومل استمع اليها تروي لي آخر ايام رومل ، مثلما سمعت الدكتور شترولن ، وهو آخر من اتصلت بهم من المخبرين ، يحدثني عن ذلك القائد العظيم ، ومثلما سمعت قبله ، الى الجنرال سبيدل في مسكنه المطل على الغابة السوداء يخبرني بدقائق ما عرف عن حياة رومل .

لم يكن جو البيت ما اوحى اليّ هذا الشعور . فبيت ارملة رومل رغم صور للقائد الراحل الزيتية المنتشرة على جدرانه ، ورغم مخلفاته العسكرية الموصوفة هنا وهناك ، لا يوحي الا السكينة والطمأنينة . وكذلك كان شأن بيوت جميع الذين زرتهم باحثاً منقباً عن دقائق حياة

رومل ، ولكنها ذكرى ايام الريش الثالث الاخيرة ودسائسه ، كما اسلفت الذكر ، هي التي اقضت مجلسي .

اما لوسي ماريا رومل ، تلك الارملة المضيافة النبيلة فوجدتها وقد نفضت عنها الحزن فحل محله الفخر بانتمائها الى ذلك القائد المغوار ، ولم تترك الفجيعة من أثر فيها الا تلك التجاعيد العميقة تخطط محياها ... تحدثك عن الفقيد زوجها ببهجة واكبار لا يشوبهما شيء من ذلك الاحساس العاطفي المرهف الذي يتحكم بكثير من الالمان .

قضت لوسي مع رومل ثلاثين عاماً كاسعد ما تكون الزوجات رغم الحربين العالميتين اللتين خاض غمارها ... حدثها عن زوجها ، فاذا ركنت اليك كشفت لك صفحة ايامه الاخيرة دون ان تحس مرارة او تفجعاً بل اسى وازدراء لاولئك الذين عجلوا نهايته .

على ان اعصابها خانتها مرة واحدة ففاتحتني بعاطفة الحب المتأججة التي ما تزال تكنها للراحل : كان ذلك حين ذهبنا معاً الى بيتها القديم المنتصب على رابية قريبة من هرلينغن ، وقد صار اليوم مدرسة . فقد بقيت في السيارة وشق عليها ان تدخل المنزل . قالت : « احب ان ارى اولاداً يلعبون في هذه الحديقة ، ولكني لا اريد ان ادخل هذا البيت . »

اما ابن رومل ، منفريد ، الطالب في جامعة توبنغن ، فشاب طيب العنصر متزن تمام الاتزان ، على صغر سنه ، بار بوالدته ، امين لذكرى والده ، لا يعرف شيئاً من طيش الخامسة عشرة التي لم يتجاوزها .

تذكرت ان خلف هذه الوداعة قام عراك رهيب بين هذه الاسرة وذلك العهد الذي ساده الارهاب وشتى صنوف الكيد . . . تذكرت فاضنتني الذكرى ... واستعرضت ايام رومل الاخيرة فاعترفت بان هؤلاء القوم امتن مني عصباً واشد مراساً .

*

عاد رومل من افريقيا الشمالية في آذار ١٩٤٣ ، وهو على خلاف مع الزعماء النازيين . كان يعرف منذ زمن بعيد ان كايتل وبودل يناصبانه العداء ، وما ركن يوماً الى غورنغ ، وبلغه ان كيسلرنغ اغتابه وندد بالفيلق الالماني الافريقي .

كان بعيداً عن السياسة ودسائسها وخباياها ، وهو الجندي الملازم قواته ابداً الغارق في الخرائط والتقارير العسكرية . فلما استقر بضعة شهور في المانيا قبل ان يتسلم زمام قيادة المجموعة « ب » في الجبهة الغربية تفتحت عيناه على حقائق كثيرة وتكشفت له دسائس ومؤامرات تنخر في النظام النازي. ولقد اعتاد منذ القدم ان يتجنب طغمة الحكام وينظر اليهم نظرة ريبة واستنكار . ولكنه عرف اول مرة بامر الموبقات المرتكبة في بولونيا وروسيا وبلاد اوروبا الغربية المحتلة .

لم يتردد رومل في ما ينبغي عمله ، وهو الجريء الصريح ، ففاتح هتلر برأيه واخطره بان المانيا منهزمة حتماً اذا هي مضت في السماح بهذه الفعال واطلقت العنان للتفظيع . واقترح حلّ الغستابو وفرق الحرس الاسود ودمج افرادها بالجيوش النظامية. وضرع الى هتلر ان يكف عن تجنيد الاحداث من شبان المانيا .

وساير الفوهرر المارشال رومل وناقشه في آرائه هذه ولكنه لم يدع له مجالا للشك في انه لم يبدل شيئاً من اساليبه . وكانت الصدمة شديدة لرومل ويئس من كل محاولة للاصلاح .

فكر رومل في كل هذا حوالى صيف ١٩٤٤ ، واعتزم ، اول مرة في حياته ، ان يعمد الى اساليب السياسة ويخوض غمارها. واتفقت آراؤه مع كثيرين من القادة الالمان واجمعوا في ان المانيا سائرة الى الخراب ،

ولا بد لانقاذها من اقصاء هتلر . ولكن الثمن سيكون باهظاً ما دام الحزب النازي وجماعة الحرس الاسود يدعمونه ويسيرون في ركابه، وقد لا يكلف اقل من حرب اهلية. لهذا قد يكفي لانقاذ المانيا اقصاء حاشية هتلر والابقاء على الفوهرر كرمز وصورة دون ان تكون له حكمة او سلطان . فكيف السبيل الى ذلك ؟

قبل ان يمعن روما في التفكير ويشرع في رسم خطة للعمل، عين قائداً لمجموع الجيوش « ب » وسافر الى ايطاليا الشمالية ثم انتقل الى فرنسا. وعاد فاستغرق في مشاغله العسكرية فصارت عنده القضايا السياسية في المقام الثاني .

ولكن كثيرين من الساسة والقادة غير روما، كانوا في اثناء ذلك قد رسموا خططاً وقطعوا شوطاً طويلا في سبيل تحقيقها وتحولت انظارهم الى روما . كان الدكتور غورديلر، محافظ ليبزيغ والكولونل جنرال بيك رئيس هيئة اركان الحرب العامة سابقاً، يتزعمان المؤامرة المدبرة لاقصاء هتلر . ولكنهما ايقنا ان هذه المؤامرة لن تفلح الا اذا اعتمدت على شخصية شعبية شبيهة بشخصية هندنبرغ، تترأسها ساعة التنفيذ.

كانا يريدان رجلا شهيراً يثق به الشعب، متجرداً من الاغراض الشخصية يسير الجيش خلفه بلا تردد اذا ما دعاه . اما الجنرال بيك، فبالرغم من شدة بأسه ومزاياه الرفيعة، لم يكن يصلح ليتزعم الحركة . فالالمان يكادون لا يعرفونه، اذ اقصاه هتلر منذ ١٩٣٨ عن مسرح الحكم.

لم يكن بين القادة الالمان العاملين في الخدمة الفعلية من يتمتع بشهرة ويحتل مكانة رفيعة في قلوب الالمان، كالمرشال روما . ولعله كان، بعد هتلر، اشد رجال المانيا شعبية، اضف الى هذا انه كان شائعاً ان الانكليز، اولئك الذين ستفاوضهم المانيا في الوقت المناسب، يحترمونه

ويثقون بعهوده .

استطاع المتآمرون ان يتصلوا بروميل على يد الدكتور كارل شترولن محافظ شتوتغارت منذ ١٩٢٣ . وكان شترولن هذا ذائع الصيت في الخارج اذ رأس، قبل الحرب ، آخر مؤتمر عقده اتحاد الهندسة الدولي ، فما وجد المتآمرون اصلح منه وسيطاً لمهمة دقيقة كهذه .

كان الدكتور شترولن في البداية من اكبر مؤيدي هتلر والحزب النازي . ولكنه ما لبث ان انقلب عليهما بعد ضربة تشيكوسلوفاكيا . وقد جعلت منه صداقته للدكتور غورديلر متآمراً من كبار المتآمرين ، وبدأ يشتغل ضد النازية منذ العام ١٩٣٩ ، مع احتفاظه بمنصبه في شتوتغارت . ومما يروى عنه انه انقذ خمسة وعشرين رجلا من جماعة المقاومة الفرنسية حكم عليهم بالاعدام في الالزاس .

توثقت اواصر الصداقة بين شترولن وروميل اذ كانا معاً في هيئة اركان حرب الفيلق الثاني، وزادهما الشقاء تقارباً وحافظا على صداقتهما في ما بين الحربين. وفي العام ١٩٤٤ تعهد شترولن اسرة روميل حيناً ونقلها من فيينر نوشتاد الى مقرها في فورتمبرغ .

بدأ شترولن عمله بوساطة زوجة روميل . وفي آب ١٩٤٣ وقع وثيقة وضعها بمساعدة غورديلر وفيها عدة طلبات ابرزها الكف عن اضطهاد اليهود والكنائس وسحب زمام العدل من ايدي الحزب النازي . فلما رفعت هذه الوثيقة الى امانة وزارة الشؤون الداخلية ، ابلغ شترولن انه سيساق للمحاكمة لارتكابه جرائم ضد الوطن اذا لم يثب الى رشده ويكف عن حركاته .

قدم شترولن نسخة من هذه الوثيقة الى مدام روميل ، وحوالى نهاية تشرين الثاني اطلعت مدام روميل زوجها على هذه الوثيقة ، فكان لها وقع

طيب في نفسه. وفي كانون الاول احتال شترولن لزيارة روميل في هيرلنغن حيث كان الجنرال غوزي رئيس اركان حرب روميل. كان كل ما يريده من مقابلة غوزي ان يمهد له السبل لمقابلة روميل. ولكنه ما ان تحدث اليه حيناً وسبر غوره حتى اكتشف ان غوزي هو الآخر من خصوم العهد.

جرت المقابلة الحاسمة في منزل روميل، في هيرلنغن، حوالى نهاية شباط ١٩٤٤، وقد ذهب شترولن الى الاجتماع خفية، واستمرت المحادثة خمس او ست ساعات. قال شترولن يروي ما حدث:

« بدأت بمناقشة الحالة السياسية والعسكرية في المانيا، واتفقنا جميعاً في الرأي بصددها، ثم قلت لروميل: « ما دمت توافقني في رأيي بالحالة فلا بد من ان تصل الى النتيجة ذاتها ». ورويت له ان بعض كبار ضباط الجيش الالماني في الجبهة الشرقية يعتزمون ان يعتقلوا هتلر ويكرهوه على اعلان تنازله عن الحكم بخطاب لاسلكي يوجهه الى الشعب والخارج. وقد تقبل روميل هذه الفكرة. ومن الانصاف ان اقول ان روميل لم يعرف في يوم من الايام ان ثمة خطة لاغتيال هتلر.

« اخبرت روميل انه اكبر قائد في قادتنا وارفعهم مكانة في قلوب الشعب واجلهم عند الدول، ولكني لم اخبره باننا نفكر بتسميته رئيساً للرايش. فالفكرة لم تخطر لي الا اثناء حديث مع غورديلر بعد حين. ولا احسب ان روميل سمع بامر هذه الفكرة في آخر ايامه.

« تردد روميل. فسألته: ترى هل هناك بارقة امل بان نكسب الحرب اعتماداً على الاسلحة السرية التي سمعنا بها؟ فكان جوابه انه لا يعرف عن هذه الاسلحة السرية الا ما قرأه عنها في تقارير الدعاية الصرف، وانه يعتقد بان كل امل بالنصر قد مضى وانقضى... قال روميل ان المانيا

خسرت الحرب عسكرياً ، وانه حاول ان يقنع هتلر بتلافي الكارثة والسعي لمفاوضة الغرب ولكنه اخفق في مسعاه ، وانه يود ان يعيد الكرة الا ان حاشية هتلر ولاسيما بورمان يعترضونه ولا يدعون له فرصة الاختلاء به .

«واستقر بنا الرأي على أن يحاول رومل محاولة اخيرة ان يقابل هتلر ويقنعه بحرج الموقف ووجوب الخروج منه بخسارة سياسية جزئية . فاذا أخفق كتب اليه شارحاً حقيقة الموقف وضياع كل امل بالنصر ، محملا اياه تبعة العواقب السياسية جميعاً . واذا أصر على اسلوبه انتقل رومل وجماعة الحركة الى العمل .

« لم يكن رومل رجل سياسة ودسائس . ولكنه كان شريفاً اذا قال فعل واذا وعد لم يرجع عن وعده او يموت . وقد جمع الى ذلك جرأة على العمل لم يتمتع بها كثيرون من جنرالات المانيا . »

في نيسان وقع شترولن على حليف جديد حين عين الجنرال سبيدل رئيساً لاركان حرب رومل ، اذ كان سبيدل قبل ذلك في عداد المتآمرين على هتلر . وهكذا صار شترولن على اتصال شبه دائم برومل .

وفاتح سبيدل رئيسه القديم الجنرال هنريش فون شتولبناغل حاكم فرنسا العسكري والجنرال فالكنهوزن ، حاكم بلجيكا العسكري ، بامر الحركة لاقصاء هتلر . واشترك رومل ببعض هذه الاحاديث وكان مطلعاً عليها جميعاً .

صار شتولبناغل في صميم المؤامرة . وقد رسم هو وسبيدل الخطوط الكبرى لطلب هدنة طمعاً في ان يتفاوضا بشأنها مع ايزنهاور ومونتغومري ، على ان تكون هذه المفاوضة في غيبة هتلر اذا لم يكن حتى ذلك الحين قد خلع عن دست الحكم . وكان مشروع الهدنة هذا يقضي بان تنسحب

الجيوش الالمانية من البلاد المحتلة جميعاً في الغرب وتبقى في الشرق على جبهة مختصرة .

اما الحلفاء الغربيون فما كانوا يرضون بمثل هذه الشروط. فقد تعهدوا بالا يعقدوا صلحاً الا بموافقة روسيا واشتراكها . ثم انهم كانوا مقيدين بذلك القرار الذي اعلن في مؤتمر كازابلانكا والقاضي بان تستسلم المانيا بلا قيد ولا شرط وكان هذا القرار قد زاد الالمان تجمعاً تحت لواء هتلر وأطال أمد الحرب وكلف الانكليز والاميركيين الوفاً من الارواح . الا ان سبيدل وشتولبناغل كانا يحسبان ان تشرشل وروزفلت سيرحبان بهذه الفرصة التي تبقي الجيوش الروسية بعيدة عن اوربا الغربية ، على ألا يفاوضا هتلر او الزعماء النازيين .

في السابع والعشرين من ايار عقد اجتماع آخر خطير في منزل الجنرال سبيدل في فرودنشتات ، اجابة لطلب رومل ، وقد حضره سبيدل نائباً عن رومل ، وشترولن ، وفون نوراث وزير خارجية المانيا السابق وحاكم تشيكوسلوفاكيا . ولقد حكمت محكمة الحلفاء في نورمبرغ على فون نوراث هذا بالسجن خمس عشرة سنة ، وهو الذي عرض نفسه لعقاب أشد بكثير ينزله به هتلر اذ تآمر على حياته . وما تمالكت نفسي من رعدة اعترتني حين قال لي الجنرال سبيدل في منزله وهو يستعرض تلك الايام : « كنا جالسين حول هذه المائدة وكان فون نوراث جالساً على هذا المقعد الذي تجلس انت عليه الان . »

كان شترولن كبقية الالمان مولعاً بالتقارير ، فوضع محضراً خاصاً بالمحادثات ليطلع رومل على تفاصيل ما جرى ويعرف حقيقة الحال . وقد سالته هل تضمن هذا التقرير دقائق المحادثة بلا استثناء فاجاب: بالتأكيد وقد نسخ احد موظفي المختارين عدة نسخ من هذا المحضر في مكتبي فكاد

يجن خوفاً وسارع يحرق ورق التنشيف . وبالرغم من كل ما ينطوي عليه الضبط من اسرار ، حملت منه نسخة الى شتوتغارت .

افتتح الجنرال سبيدل تلك الجلسة الخطرة الطويلة ، جلسة السابع والعشرين من ايار ، فرسم صورة واضحة للحالة العسكرية . فلما انتهى من بيانه ، قال فون نوراث : « ما دام هتلر في الحكم لن نستطيع ان نعقد الصلح بصورة من الصور ، لذلك نطلب اليك يا سبيدل ان تدعو رومل الى العمل وان تخبره بان الساعة قد حانت ليحمل عبء المهمة على عاتقه . »

وقد وافقه المجتمعون في هذا القول ، وكانت هذه الدعوة هي التي حملها سبيدل الى رومل في مقر قيادته في لاروش غييون .

كان رومل في خلال الشهور الماضية قد ازداد اقتناعاً بضرورة العمل لانقاذ الموقف قبل ان تفوت الفرصة . وزاده رسوخاً في اعتقاده هذا انه وجد ارنست جونغر ، ذلك العسكري الكبير مؤلف « صواعق من فولاذ » ، قد انتقل هو الاخر الى المعسكر المعادي لهتلر ورسم طي الحلفاء ، صورة لمعاهدة صلح تعقدها المانيا على اساس وحدة اوروبية مسيحية لا اثر فيها للحدود ، تكون الضامن الاوحد لابعاد خطر التوسع الشيوعي . وقد اعجب رومل بهذه الخطة واقتنع بصوابها وطمع في الفرصة السانحة لتحقيقها ، فكان عليه هو ان يخلقها .

في شباط وقع رومل في مأزق حرج كل الحرج : اختاره هتلر من جهة ليدافع عن جدار الاطلنتيك ووقف حملة الحلفاء على سواحل فرنسا ، وانطلقت الصحافة الالمانية تطريه وتعظم شانه ، واتجهت انظار الحلفاء والجيش الالماني هو الاخر اليه ، واصبح من جهة اخرى ، على اشد من اليقين بان وقف حملة الحلفاء على القارة الاوروبية مستحيل ، واعتزم اذا رفض هتلر عروضة للصلح ، ان يقترح على ايزنهاور

ومو تتغمري عقد هدنة ، متى نجحت حملتها .

وكثيراً ما تناقش رومل مع الدينغر بامر هذا المأزق الذي شغله واقض مضجعه ... كان يقول له : « من السخف ان نستمر في الحرب . فكل يوم يمضي يكلفنا واحدة من مدننا والوفاً من ارواحنا ، وكل هذا لا لغرض الا تمهيد السبيل امام الشيوعية لتزداد انتشاراً ورسوخاً في اوروبا . ولو كنا نملك القنبلة الذرية لكان الواجب يقضي علينا بالمضي في الحرب ، لانها كفيلة بان ترجح كفتنا . وانا على يقين اننا لا نملكها والا لامرت الحكومة باستعمالها . على هذا لا مفر من عقد الصلح . »

وكان رومل الى هذا مقتنعاً بان لا جدوى من البحث بأمر الصلح ، في غيبة هتلر ، قبل ان يغزو الحلفاء اوروبا وقبل ان يثبت نجاح حملتهم . وعلل ذلك بقوله : في افريقيا كنت انا السيد المطلق وما كان جنودي يعتمدون الا علي او يطيعون الا اوامري . اما هنا فما انا الا قائد اتلقى اوامر من عل . ولا شك بان جنودنا في الجبهة الغربية ، هم الذين تحشو الدعاية رؤوسهم ليل نهار بالامال المعسولة والوعود الخلابة ، وهم المقتنعون بوجود اسلحة سرية مدهشة ، يعتبرون خائناً كل من يفكر بالاستسلام فيرفضون هم وكثيرون من الضباط السير وراءنا . من اجل هذا لا بد من ان نحاول وقف الغزوة الحليفة واحباطها ، ونستعد في الوقت ذاته لمفاتحة الحلفاء بالصلح . »

استطاع رومل بفضل توازنه العقلي المدهش الذي امتاز به ان يركب هذين المركبين الخطرين معاً ، فاجتهد ، بوصفه جندياً ، في تحصين جدار الاطلنتيك الذي اهمل زمناً طويلا . وكان يعلن في الاوامر اليومية التي يصدرها ان هذا الجدار لا يخرق . حتى الحلفاء انفسهم حسبوا ان الدفاع عن السواحل الفرنسية متين جداً . ولما افلح الحلفاء في الخروج على

القارة الاوروبية انبرى روميل لهم يقاتلهم قتال المستميت ليردهم الى البحر وابلى احسن البلاء كأنما لم يرسم في قرارة نفسه صورة قاتمة للمستقبل الذي ينتظر المانيا في الجبهة الغربية بل انه خاطر بنفسه وتعرض للهلاك اكثر مما تعرض اي قائد في اي ميدان . وبهذا استطاع روميل ان يحتفظ بثقة الفوهرر والجيش به ، اذ لم يكن على سلوكه العسكري في الميدان ذرة من غبار...

ولكنه ظل ، من الجهة الثانية ، اميناً للمبادىء التي رسمها اثناء اجتماعه بالدكتور شترولن في شباط ، ولم ينقطع عن العمل بمنتهى الجهد لتحقيقها متى دقت الساعة ففي الثاني عشر من حزيران اخطر هتلر اخطاراً صريحاً بان الحالة تسوء ولم يخف ان تفوق الحلفاء في الجو يقضي على كل امل بالمحافظة على الجبهة الالمانية سليمة والحول دون تشققها .

وفي السابع من حزيران استطاع ان يحظى بمقابلة شخصية لهتلر ، فلما اجتمع به وضعه امام احد امرين : اما طلب الصلح من الغرب او سحب الجيوش الالمانية واقامة خط دفاعي جديد وراء نهر الاورن .

واخيراً، في الخامس عشر من تموز، بعث الى الفوهرر برسالته المعروفة الاخيرة . ثم اصيب في تلك الغارة المشهورة قبل ان يتلقى الجواب وقبل ان يخطو الخطوة الاولى للاتصال بقادة الحلفاء .

*

زار سبيدل وروج المارشال روميل في المستشفى بعد بضعة ايام من اصابته ، واول ما لاحظاه ان صحته في تقدم عظيم يدل على ذلك انه استطاع ان يحلق لحيته دون معاونة احد... ثم دأب روج على عيادته كل يوم تقريباً ليقرأ له ويسليه . وقد قص علي روج انه كان يقرأ له مقاطع من كتاب «النفق» ، وهو قصة مشروع لانشاء نفق يصل اوروبا

بالولايات المتحدة الاميركية .

قال روج : «كان هذا اللون احب المؤلفات الى رومل . وقد حدثني بالتفاوت العظيم بين مد البحر وجزره على ساحل مقاطعة بريتانيا الفرنسية وهو تفاوت ادهش رومل واثر فيه أثراً عميقاً ، وقال انه مهتم ، مثلا بمشروع استخدام القوة المحركة في المهالح ، وانه على اي حال ، سيشتغل بعد الحرب في مشاريع فنية وعملية ولن يبقى في الجيش .

ثم جعل رومل يتحدث الى الاميرال روج بصراحة عن مشروع اغتيال هتلر . وقد وصف الاغتيال بانه وسيلة سيئة للخروج من المأزق لان قتله يجعله بطلا شهيداً فيقدسه الشعب ويقدسه كثيرون... كان يفضل ان يعتقله الجيش ويسوقه للمحاكمة...

في الثامن من آب اصر رومل على مغادرة المستشفى رغم نصيحة البروفسور ايش رئيس اطباء المستشفى والدكتور سيننغ احد الاطباء الملحقين بقيادة رومل ، فكان له ما اراد ونقل الى منزله هيرلنغن . وقد روت لي ارملته انه حزم امره على الا يقع جريحاً في ايدي العدو .

رافق الطبيبان رومل في رحلته وعهدا به الى البروفيسور البريخت والبروفيسور ستوك ، من جامعة توبنغن . وكان البريخت مختصاً بجراحة الدماغ . وقد اعلن بعدما فحص رومل انه ما رآى في حياته رجلا اصيب بمثل هذه الجراح الخطرة في الرأس ونجا من الموت...

خلافاً لما كان منتظراً التأمت جراح رومل بسرعة ، واخذت قواه ترتد اليه يوماً فيوماً . وقد دهشت مدام رومل لان احداً من كبار زعماء الرايش والقيادة العليا لم يكلف نفسه مشقة السؤال عن صحة زوجها واخذت تحدس بان ايدي الزعماء النازيين اخذت تطبق عليه .

كانت آراء رومل وحدها في ضرورة طلب الصلح ، كافية لايقافه

موقف الاتهام . ولكن حدث بعد حين ما ادى الى اتهامه مباشرة . ففي مساء العشرين من تموز ، بعدما ذاع خبر اخفاق المؤامرة وأن هتلر نجا من الموت واخذ يبطش بخصومه ، استدعى المارشال فون كلوغه الجنرال هنريش فون شتولبناغل الى مقر القيادة في لاروش—غيبون . وكان فون كلوغه مطلعاً على المؤامرة ولكنه لم يساهم فيها تاركاً كشف موقفه بعد نجاحها فيقوم هو نفسه بمفاتحة قادة الحلفاء بأمر الهدنة . اما بعد ان تطورت المؤامرة هذا التطور الفاشل ونجا هتلر من الموت فقد اوصى فون كلوغه بوقفها عند هذا الحد . وكم كانت دهشته عظيمة حين علم ان شتولبناغل امر ، قبل مغادرته باريس ، باعتقال جماعة الغستابو وشرطة الامن التابعة للحرس الاسود .

واشتد النقاش بين شتولبناغل وفون كلوغه ، اذ اصر الاول على مواصلة المؤامرة ، وطلب فون كلوغه الكف عنها واصدار الامر على الفور باطلاق سراح شرطة الامن . وكان لهذا ما اراد ...

حاول الجنرال اوبرغ ، رئيس الحرس الاسود ، ان يخفف من وطأة الحدث ، فزعم ان الاوامر الصادرة باعتقال فون شتولبناغل ليست الا تمريناً ! ولكن الجنرال شتولبناغل استدعي في اليوم التالي الى مقر القيادة العامة في برلين ليقدم تقريراً عما فعل ، فذهب في سيارة وهو عازم على الانتحار .

لم يعرف متى قرر شتولبناغل تنفيذ فكرة الانتحار . ولكن الثابت ان ذلك كان قبل وصوله الى مدينة فردان ، اذ امر سائقه بان يسوق السيارة الى قناة نهر الموز ويتركها هناك ... ولم يلبث السائق ، بعد ان صدع للامر ، ان سمع طلقاً نارياً ، فسارع الى سيده فوجده في المياه فانتشله فاذا هو فاقد وعيه وقد فقأت رصاصته عينه ولم تجهز عليه . وسارع فنقله

الى مستشفى فردان .

انقذت واحدة من عيني شتولبناغل بجراحة ماهرة ولما استعاد رشده اخذ يردد اسم رومل . ويقول الكولونيل فولنغانغ مولر ان الجراح اتصل بالغستابو في باريس . اما الجنرال سبيدل فيقول ان جماعة الحرس الاسود والغستابو خفوا الى المستشفى حالما نقل اليه شتولبناغل واعتبروه منذ تلك الساعة رهن الاعتقال .

نقل شتولبناغل الى برلين بحراسة الغستابو ، وهناك عالجه المحققون ولا يعرف بماذا اعترف . ولكن لا شك في انه كشف عن كثير من اسرار المؤامرة اثناء هذيانه ... ثم حوكم وشنق .

وفي الثامن عشر من ايار ، لما استدعي المارشال فون كلوغه الى برلين، قرر هو الآخر ان يسلك الطريق التي سلكها فون شتولبناغل ، فشرب السم وانتهى امره ...

# النهاية

مضت الاسابيع هادئة رتيبة في هرلينغن وروميل بين اسرته . كل ما حدث هو زيارات البروفسور البريخت المتكررة للمنزل كي يطمئن الى تقدم مريضه السريع نحو الشفاء واخذ روميل بعد حين ينهض ويجلس في الحديقة حيث ينعم باشعة الشمس . ثم بدأ يقوم ببعض النزهات .

الا ان حادثاً غريباً حدث في ايام نقاهته الاولى . فحوالى منتصف آب حاول مجهول ان ينسل الى بيت روميل من طريق السرداب المؤدي الى ملجأ البناية ، ففضحه الحارس واطلق عليه النار فهرب . ولم يأبه اهل البيت للحادث ، اذ كان كثير من الاسرى الاجانب ومن الالمان المطاردين قد اطلقوا سيقانهم للريح وانتشروا في المانيا في صيف ١٩٤٤ .

وفي السادس من ايلول جاءت روميل زيارة اخرى غير منتظرة . فقد اتاه الجنرال سبيدل يخبره بان القيادة العامة اقالته في اليوم السابق من رئاسة اركان مجموعة الجيوش « ب » ، واستدعته الى مقرها العام ليحضر اجتماعاً لكبار الضباط برئاسة الجنرال غودريان ، رئيس اركان حرب القيادة يومذاك .

قالت لي مدام روميل تروي ما حدث اثناء تلك الزيارة :

« اخبرنا الجنرال سبيدل ان كايتل ويودل تحدثا عن زوجي حديثاً يدعو الى القلق ووصفاه بالمتخاذل والداعية الى الانهزام . وحذر روميل

مما يبيتان له . ولم يذهب سبيدل الى ابعد من هذا في التصريح مشفقاً على صحة رومل اما هو فقد ادرك انهما يكيدان له ويبحثان عن « قميص عثمان » يلوحان به ليسترا الحالة العسكرية المحزنة التي وصلت اليها جيوشنا في الجبهة الغربية . وحسب رومل ان هذا سبب حديث الصحف والاذاعة الالمانية اخيراً عن « الحادث » الذي كان هو ضحيته ، دون ان تشير الى ان ذلك الحادث هو غارة جوية معادية ، وسبب تأخرها في اذاعة نبأ الحادث حتى أن الصحف الاجنبية سبقتها بنشره اياماً عديدة . »

لم يدع الحرس الاسود للجنرال سبيدل فرصة للذهاب الى برلين استجابة لدعوة القيادة العامة . ولعل رؤوس الحرس خشوا ان يختار سبيدل تلك الطريق القصيرة التي اختارها المارشال فون كلوغه والجنرال بيك والجنرال شتولبناغل وغيرهم ، فيعمد الى الانتحار ، فما كادت الساعة تدق السادسة صباحاً حتى طرق باب سبيدل في فرودينشتاد طرقاً عنيفاً . واذا بضابط من الحرس الاسود يرافقه بعض رجال الحرس المسلحين ، يطلبون الجنرال ويدعونه الى مرافقتهم على الفور .

كان الضابط متعجلا قضاء مهمته كل التعجل حتى انه لم يفتش البيت فاعطى مدام سبيدل الوقت الكافي لتخفي صورة للجنرال بيك كانت معلقة في قاعة الاستقبال ( وما تزال الى يومنا هذا ) وكان للسيدة سبيدل الوقت الكافي كذلك لتخفي بعض الاوراق .

سيق الجنرال سبيدل في سيارة الى شتوتغارت . ومنها سيق في القطار بحراسة شديدة الى برلين حيث زجوا به في سجن الغستابو في برينز البريشتراسه . وبعد قليل اتصل مرافقه بمنزل رومل في هيرلنغن معلناً بالهاتف ان سبيدل في السجن . ولكن نبأ الاعتقال لم يبلغ بالطريق الرسمية الى رومل مع انه كان ، بعد ، قائداً اعلى لمجموعة الجيوش « ب »

ولو بالصفة الرسمية فحسب .

واشتد الغضب برومل فبعث الى هتلر ، بوساطة سيب ديتريش ، بكتاب شخصي يحتج فيه على اعتقال سبيدل واغفال امر ابلاغه الى رئيسه اي الى المارشال رومل . ولكنه لم يتلق اي جواب .

بعد ظهر ذلك اليوم اخبر بعض الاصدقاء زوجة رومل بالهاتف ، ان شخصين مشبوهين قد شوهدا وهما يطوفان حول منزلها ويحاولان ان يدخلاه ، فما ان اقترب منهما بعض اهل المنطقة حتى ابتعدا . وقد حقق الدينغر ، في الامر فثبت له حوالي الساعة الثالثة والنصف ان الرجلين المجهولين ، ويخفي احدهما عينيه خلف نظارتين سوداوين ، ما يزالان في الغابة المجاورة وانهما اقاما على هضبة خلف منزل رومل .

وعلم الدينغر كذلك ان الرجلين يحملان جوازي سفر حديثين يشيران الى انهما مهندسان من ريغنسبورغ ، وقد زعما انهما كانا يشتغلان في بعض اشغال الحرب ثم صدر امر بأخراجهما من منطقة هرلينغن . وقد روى صاحب احد الفنادق لبوتشر ، امين سر المارشال رومل ، ان للرجلين سيارتين وضعاهما قرب فندقه .

في المساء ، لما علم شترولن بنبأ اعتقال سبيدل ، خاطر فتوجه من شتوتغارت الى هرلينغن ووجد رومل قيد الحراسة . وكان رومل قد احس بالخطر يقترب منه بسرعة ويوشك ان ينقض عليه . فطلب الى شترولن ان يحدثه همساً . وكان على مكتب رومل مسدس ، فسأله ضيفه عن حاجته اليه ، فاجابه رومل : « ثق يا شترولن بانني لا اخاف الا من اثنين : « الروس والالمان انفسهم ! » واطلع رومل ضيفه على الرسالة التي بعث بها الى هتلر وتشاور الرجلان بامر المساعدة الممكن تقديمها لرفيقهما سبيدل . وقال رومل انه هتف للقيادة العليا بهذا الصدد

ولكن دون جدوى ، اذ رفض المسؤولون هناك حتى اطلاعه على سبب اعتقال سبيدل .

كانت تلك الزيارة آخر مرة رأى فيها شترولن المارشال رومل ، اذ ما كاد يغادر البيت حتى خابرته مدام رومل طالبة اليه الا يعود لزيارتهم ، اذ بدأت تخاف من قبضة الغستابو .

وبعد بضعة ايام زار رومل في بيته «ضيف» آخر يدعى ماير وهو رئيس فرع الحزب النازي في «اولم» وقدم الرجل نفسه على انه صديق وسأل رومل هل يركن المارشال لخدمه . ذلك بان رئيس الحرس الاسود في اولم اخبره بان رومل ما بقي مؤمناً بانتصار المانيا واخذ يبدي ميلا انهزامياً واضحاً ودرج على انتقاد الفوهرر والقيادة العليا انتقاداً مراً جريئاً .

كان جواب رومل شديداً واجرأ مما توقع الضيف . بل ان ابنه نفسه دهش من هذه الصراحة التي خاطب بها والده هذا الضيف . فقد صاح رومل :

« انتصار ! يتحدثون بعد عن انتصار المانيا ! انظر يا رجل الى الخريطة ! الانكليز هنا ، والاميركان هنا ، والروس هناك افتتحدث بعد ذلك عن الانتصار ، وما جدوى هذا الحديث ؟ »

وذكر اسم هتلر صدفة ، فانتقده رومل بعبارات شديدة ، فحذره الضيف من الاسترسال في امثال هذه العبارات المهينة واخطره بان الغستابو سيطارده حتماً ان لم يكن قد بدأ مطاردته فعلا .

روى صحافي طلياني اخيراً ان ماير هذا ما ان رجع الى مكتبه حتى كتب تقريراً بثلاثين صفحة عن حديثه مع رومل وحمله في اليوم التالي الى برلين وقدمه الى بورمان . الا ان زوجة رومل وابنها يشكان في هذه الرواية الصحفية . فقد مضى ماير بضعة شهور مع ابن رومل

مانفريد في معسكر اسرى حرب فرنسي في لبنداو ، واكد لمانفريد انه ما خطر له ذات يوم ان والده مات مقتولا وان جماعة الحرس الاسود كادوا له . وقد مات ماير هذا في معسكر اعتقال اميركي وما اتيح لي ان اجتمع به واحاول معرفة الحقيقة . ولكن لا يستبعد ان تكون رواية الصحافي الطلياني صحيحة ...

مضى شهر آخر دون ان يحدث جديد . وقد تحسنت صحة روملفي هذه الفرصة ، فاخذ يتوجه بالسيارة الى توبنغن للمعالجة . وكان مقرراً ان يفحصه الاطباء في العاشر من تشرين الاول ، ولكن في السابع من ذلك الشهر طلب المارشال كايتل بالهاتف الى المارشال رومل ان يكون في برلين في العاشر من تشرين الثاني لمقابلة خطيرة ، قائلا ان قطاراً خاصاً سيكون بتصرفه مساء اليوم التاسع .

هتف رومل الى البروفسور البريخت بان يلغي الجلسة الطبية المعدة له لانه مدعو الى برلين ، فرفض الطبيب كما رفض زميله البروفسور شتوك ان يسمحا له بالسفر ، وحذراه من مغبة رحلة طويلة كهذه . فطلب رومل الى الكابتن الدينغر ان يطلب المارشال كايتل شخصه بالهاتف ، ففعل ، وكان المجيب الجنرال بورغدورف رئيس دائرة موظفي الجيش :

قالت مدام رومل : « اخذا زوجي الهاتف ، وكنت في الغرفة مع الدينغر ، فطلب الى الجنرال بورغودورف ان يبلغ المارشال كايتل ان اطباء رومل يحظرون عليه السفر الى برلين لان حالته الصحية لاتسمح له بالاسفار الطويلة . ثم سأله عن الغاية من استدعائه وهلا يستطيعون ان يوفدوا اليه ضابطاً ليدرس الموضوع . فاجاب بورغدورف بان الفوهرر هو الذي امر المارشال كايتل بان يستدعيه ليبحث معه بامر منصبه في المستقبل . »

شعر الدينغر بان رومل شديد الامتعاض مضطرب الاعصاب . ولكن رومل لم يكشف عما يخالجه لا لمرافقه ولا لزوجته . وكانت هذه شديدة الاضطراب منذ اعتقال الجنرال سبيدل ... وفي اليوم التالي لحق مانفريد بمدفعيته المضادة للطائرات .

وفي الثالث عشر من تشرين الاول اتصل مقر القيادة في المنطقة من شتوتغارت بمنزل رومل ، وكان هذا والدينغر خارج البيت ، فتلقى المخابرة احد الجنود الخدم ، ثم نقلها الى المارشال ، وخلاصتها ان الجنرال بورغدورف سيصل الى هيرلينغن ظهر اليوم التالي يرافقه الجنرال «مايزل» وكان مايزل هذا هو الاخر من دائرة الموظفين ، وقد عهد اليه منذ العشرين من تموز بمهمة دراسة اضبارات الضباط المشتبه باشتراكهم بالمؤامرة المدبرة لاغتيال هتلر .

لم يقل رومل كثيراً عن هذه الزيارة حين ابلغه الجندي الخادم امرها ، وقال لالدينغر ان الجنرالين المذكورين آتيان ليبحثا معه ، في الغالب ، بامر الحملة الحليفة على اوروبا او بامر منصب جديد سيعهد اليه به ... وقد بقي طول اليوم ملتزماً الصمت على غير عادته .

في اليوم التالي جاء ابن رومل مانفريد مأذوناً ، في قطار الساعة السابعة صباحاً ، فوجد اباه مستيقظاً ، فافطرا وخرجا يتنزهان ، فاخبر رومل ابنه بامر الزيارة المنتظرة عند الظهر . وسأله مانفريد: هل الزيارة لمنصب جديد معروض عليك ؟ فاجاب بان هذا ما قالوا .

شعر مانفريد بان اباه مهموم مضطرب ، ولكن سرعان ما استرد رومل روعه واخذ يحدث ابنه بامر مستقبله . قال انه يود ان يصبح مانفريد طبيباً لا جندياً . وكانت الساعة الحادية عشرة حين عاد الى البيت ...

عند الظهر وصل الجنرال بورغدورف يرافقه الجنرال مايزل والميجر اهرنبرغر في سيارة خضراء صغيرة ارتدى سائقها زي الحرس الاسود . وبعد ان صافح الجنرالان المارشال رومل ، قدم اليهما رومل زوجته وابنه مانفريد والكابتن الدينغر . وبعد استراحة قصيرة طلب الجنرال بورغدورف ان يختلي برومل ، فصعدت الزوجة الى غرفتها وقاد رومل بورغدورف الى غرفة في الطبقة الاولى وتبعهما مايزل . والتفت رومل الى الكابتن الدينغر وامره بان يجمع « الاوراق » وهي اضبارة طلب اليه رومل من قبل ان يعدها وفيها اوامره وتقاريره عن الحالة خلال معركة النورماندي اذ كان يظن انه سيسأل عن حملة الحلفاء .

كانت الاضبارة جاهزة وبقي الدينغر يتجاذب اطراف الحديث مع الميجر اهرنبرغر امام باب المنزل الكبير فيما ذهب مانفريد الى غرفته يعد بعض الخرائط لوالده . وما لبث الجنرال بورغدورف ان دخل عليه وليس معه رومل ، وكان هذا قد صعد ليقابل زوجته .

قالت ارملة رومل تروي لي ما حدث :

« دخل رومل الغرفة مضطرباً ممتقع الوجه . فهالني منظره وسألته : ماذا حدث ؟ هل انت مريض ؟ فنظر الي نظرة طويلة ثم هتف : « جئت اودعك ، فبعد ربع ساعة سأكون في عداد الاموات ... انهم يتهموني بالاشتراك بمحاولة لاغتيال هتلر ... يظهر ان اسمي وجد في قائمة وضعها غوردلر وبجانبه منصب رئيس الرايش ... يقولون ان شتولبناغل وسبيدل والكولونيل فون هوفاكر قد وشوا بي ... كالعادة ! قلت لهم انني لم اصدق هذه الرواية ، ويستحيل ان تكون صحيحة ... والآن يخيرني هتلر بين ان انتحر او احاكم امام محكمة الشعب . وقد جاؤوا بالسم ... ويقولون انه سم ناقع يفعل فعله باقل من ثلاث ثوان ! »

تضرعت المرأة الى زوجها ان يمثل امام المحكمة، وما عليه من حرج لانه لم يحبذ قتل هتلر ولا عرض عليه. ولكن رومل قاطعها قائلا: كلا، كلا! انني لا اخشى ان احاكم علناً لانني استطيع ان ادافع عن افعالي، ولكني اعرف اني لن اصل الى برلين حياً!

فيما كان رومل يودع زوجته دخل عليهما مانفريد سائلا عن والده يقول ان الجنرالين ينتظرانه، فودعه والده هو الآخر. ثم استدار رومل ودخل غرفة مجاورة وتبعه ابنه. واستدعى رومل خادمه وطلب اليه ان يأتيه بالكابتن الدينغر، فلما جاء اطلعه على جلية الامر..

كان رومل قد استسلم لهذا المصير فهدأ هدوءاً رهيباً..ولكن الدينغر كان يسمع مدام رومل وهي تنتحب في الحجرة المجاورة. وشق على الدينغر ان يستسلم فحث المارشال رومل على محاولة الهرب فكان جواب رومل قاطعاً: «باطلة الاباطيل يا صديقي. فالطرق كلها مسدودة وسيارات الحرس الاسود والغستابو تحاصر البيت وتحرس ممراته. ومحال ان نستطيع اللحاق بجنودنا اذ قطع الحرس الاسود خطوط هاتفنا ولا سبيل الى الاتصال بمقر قيادتي.»

قال الدينغر: «تضرعت الى رومل ان يبذل ولو بعض الجهد قبل الاستسلام. وقلت له اننا نستطيع التخلص من بورغدورف ومايزل بسهولة فنشق طريقاً الى الخارج. ولكنه اصر على قطع كل رجاء. واجاب: «عبثاً نقتلهما، فهما يؤديان الواجب. وبعد هلا فكرنا بمصير زوجتي وابني مانفريد؟ ثم روى لي ان القوم وعدوه بالا يصيبوا زوجته وابنه باي اذى اذا هو اختار السم للانتحار، وانهم سيدفعون لهما نفقة ويقيمون له مأتماً وطنياً، ويدفنونه في بلدته هرلنغن، اما اذا اختار المثول امام محكمة الشعب فالامور تجري مجرى آخر... واستطرد

رومل والالم يعصر قلبه :

« قضي الامر يا الدينغر وفاتحت امرأتي بكل ذلك وحزمت امري على ما يجب ان اصنع. لن اقبل ان يشنقوني . انني لم اساهم بمحاولة اغتيال هتلر وكل ما فعلته هو انني حاولت ان اخدم بلادي جرياً على الخطة التي درجت عليها طوال حياتي . والان بت اعرف ما ينبغي لي ان افعل... بعد نصف ساعة سيخابرون من اولم بالهاتف ليخبروكم اني ذهبت ضحية حادث قاتل . » كان الامر قد قضى حقاً . فقد عودنا رومل انه متى حزم امره على قرار لا سبيل الى ثنيه عليه...

يقول بعض المتآمرين الباقين احياء حتى يومنا هذا ، انه كان ينبغي لرومل ان يصر على محاكمته امام محكمة الشعب لكي يكشف الحقيقة بلا مواربة ويفضح حالة المانيا واسباب المؤامرة فيسدي للوطن خدمة عظمى . ولا يشك هؤلاء في ان وقوف رومل موقف الاتهام كان احدث وقعاً هائلا في المانيا واثار الشعب على حكامه...

نزل رومل درجات السلم بخطى ثابتة مع مانفريد والدينغر . وكان الجنرالان بورغدورف ومايزل يتاملان في الحديقة ، فلما رأياه تقدما من السيارة . وكان رومل اول من صعد اليها وجلس في مؤخرتها . وتبعه بورغدورف ولحق بهما مايزل . وكان الميجر اهرنبرغر قد ذهب ليعد العدة اللازمة . وانطلقت السيارة...

*

بعد خمس وعشرين دقيقة رن جرس الهاتف ، فتلقى الدينغر المخابرة: كان المتكلم الميجر اهرنبرغر يهتف من «اولم» . ويقول ، « الدينغر ! مصيبة عظمى يا الدينغر ! حادث رهيب وقع الساعة . اصيب المارشال رومل وهو في السيارة بنزيف في دماغه فمات ! »

ولما لم يجب الدينغر كرر اهرنبرغر الخبر واستطرد : « قل للسيدة رومل انني عائد اليها على الفور . »

صعد الدينغر يبطء درجات السلم المؤدي الى غرفة الارملة وقد هد المصاب حيله... وما احتاج الى الكلام ، اذ فهمت المرأة الخبر المشؤوم من سحنة الدينغر . وبعد نصف ساعة سمع هدير محرك سيارة في مدخل الحديقة ، فنزل الدينغر الى الممشى .

حياه اهرنبرغر تحية مقتضبة وقال انه يريد ان يواجه زوجة رومل ، فاجابه الدينغر انها لا تستطيع ان تقابل احداً ، فلم يلح الزائر . وركب الاثنان السيارة واسرعا الى مستشفى اولم دون ان ينبس احدهما بكلمة . وفي المستشفى قادوا الدينغر الى الحجرة التي كان جثمان رومل مسجى فيها ، ولكن اهرنبرغر لم يفارقه لحظة واحدة .

كانت الدموع تترقرق على خدي الكابتن الدينغر وهو يروي لي هذه الفاجعة . وكيف لا يبكي وقد ظل رومل طوال ثلاثين عاماً صديقاً له ومثله الاعلى وبطل ابطاله ؟ تصورت عظم مصاب هذا الرجل الصادق الذي قدر له ان يخوض غمرات كل هذه الحروب ويعيش في صميم هذه الاحداث الجسام ، وهو الضابط الصغير الذي يقضي معظم اقرانه حياتهم في مكتب من مكاتب الجيش المنسية... وكلما تصورته الآن بقصر قامته وعينيه المغرورقتين بالدموع جالساً يروي لي مصيبته المفجعة وزوجه الصبية الجميلة مكبة على شغلها تذرف الدمع بصمت والم ، ايقنت ان هذا البيت لن ينسى رومل ما بقي فيه عرق ينبض .

في غياب الدينغر وصل الى هيرلنغن الكولونيل كوزماني ، قائد موقع « اولم » فاستقبلته ارملة رومل . كان حزيناً مرتبكاً ، رغم انه لا يعرف شيئاً عن حقيقة مصرع رومل ، واخبر الارملة انه حالما نقل

روميل الى المستشفى توجه الجنرال بوغودروف والجنرال مايزل الى مقر قيادته وابلغاه خبر موت المارشال الفجائي ، وامراه بان يعد العدة للاحتفال بتشييع الجثمان احتفالا وطنياً كبيراً .

بعد ظهر ذلك اليوم الرهيب قاد الدينغر مدام روميل ومانفريد الى المستشفى ، واخبرهم الضابط رئيس الاطباء ان بورغدروف ومايزل اتياه بروميل ميتاً حوالى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والعشرين بعد الظهر ، وطلبا ان يحقنه الاطباء في القلب لمعرفة حالته ولكن لم يظهر اي رد فعل بعد الحقن ، واعلن الطبيب ان الجثة لن تشرح بامر من السلطة العليا .

قالت الارملة : » لما رأيت زوجي قرأت على محياه الجامد عبارة الاحتقار العميق مرسومة باجلى الصور ، وما رأيت طوال حياتي مثل هذا التعبير في سحنته . » وان قدر لاحد القراء ان يرى قالب وجه روميل لوجد هذا الاحتقار منقوشاً عليه باقياً على الدهر .

في مساء اليوم التالي ، الخامس عشر من تموز ، توجهت الارملة وابنها الى المحطة لاستقبال شقيقة روميل الآتية من شتوتغارت . قالت مدام روميل :

« استدعي الدينغر الى مقر القيادة في « اولم » فمررنا به في طريقنا لنعود معاً ، واذ كنا ننتظر خروجه برز لنا الجنرال مايزل فجأة وتوجه نحو سيارتنا ليقدم لنا تعازيه ، فادرت وجهي فيما كان يخاطبنا وتجاهلت يده التي مدها ليصافحني . »

وروى لي الدينغر ان الجنرال مايزل سأله اين هي ارملة روميل وكيف وقع الخبر عليها ، فاجابه بانها تنتظر في السيارة خارجاً ، اما كيف كان وقع الخبر عليها فامر يتركه لحدسه هو !

نقل جثمان روميل الى بيته ولف بعلم الصليب المعقوف وبقي وجهه

مكشوفاً وترك مسجى في الحجرة التي تحدث فيها اخر مرة مع بورغدروف ومايزل . ووقف ضابطان يحرسان الجثمان بامر من قيادة موقع « اولم » شاكي السلاح .

عاد الجنرال بورغدروف والجنرل مايزل الى برلين ليقدما تقريراً عما حدث . وقد اكتشف الدينغر بعد ذهابهما ان سيدارة رومل وعصا مارشاليته قد اختفتا ، فاتصل ببورغدروف وطلب اعادتهما مع الاوراق التي وجدت في جيوب المارشال. وقد اعيدتا واعيدت بعض الاوراق التافهة ولكن لم يكن بينها نسخة من الرسائل المعروفة التي بعث بها رومل في الخامس عشر من حزيران الى الفوهرر وفيها يصف الحالة في الغرب على حقيقتها . وكان الدينغر واثقاً بان رومل يحمل نسخة من هذه الرسالة في احد جيوب سترته .

قتل بورغدروف في معارك برلين الاخيرة . اما مايزل فباق حياً وهو اليوم في منطقة الاحتلال الاميركي من المانيا . وقد مثل قبل سنتين امام احدى محاكم تطهير المانيا من النازية ، وسئل عن نهاية رومل فروى ان السيارة التي كانت تقلهم وقفت على بعد مئات الامتار من بيت رومل على طريق بلوبيرين ، فامره بورغدروف كما امر السائق بان ينزلا من السيارة ويتركاه مع رومل وحدهما . واستطرد في روايته قال :

« بعد حوالى خمس دقائق رأينا الجنرال بورغدروف ينزل هو الاخر من السيارة ويلزم الطريق قريباً منها . ولم يلبث بعد خمس دقائق اخرى ان اشار الينا بيده ان نتقدم . فلما اقتربنا من السيارة رأينا رومل على المقعد الخلفي لا حراك فيه ... »

وروى السائق دوز ، وهو من الحرس الاسود ، انه لما عاد الى السيارة وجد رومل ملتوياً على نفسه لا حراك فيه تقريباً ، فاجلسه واعاد

سيدارته الى راسه .

ومما رواه مايزل كذلك في المحكمة انه لم يصدق ان رومل ، وهو من اقرب المقربين الى هتلر ، ينغمس في حمأة المؤامرة لاغتياله. فلما قرأ عليه بورغدورف صفحتين مكتوبتين بالالة الكاتبة عن اضبارته وسلوكه ايقن ان الاتهامات الموجهة اليه صادقة .

ولقد دعيت ارملة رومل للشهادة امام المحكمة فرفضت ان تشهد اذ شق عليها ان ترى وجه مايزل مرة اخرى ولو في قفص اتهام ، وبقيت القضية امام المحكمة ناقصة بانتظار المزيد من المعلومات وظلت شهادة مايزل دون نقض ولا رد .

وفي صيف ١٩٤٩ ادانت المحكمة الجنرال مايزل وحكمت عليه بالابعاد سنتين . ولكنه كان قد قضى سنتين في السجن فلم يبق للحكم اي فعل ...

بدأت برقيات التعزية تنهال على ارملة رومل، منذ اعلن نعي المارشال رسمياً . وفي السابع عشر من تشرين الاول ابرق هتلر هذه البرقية :

« تفضلي ، يا سيدتي ، واقبلي عميق شعوري بالاسى لفقدان زوجك . وسيبقى اسم المارشال رومل الى الابد ، مقروناً بمعارك افريقيا الشمالية المجيدة . » وما تطرقت البرقية الى معركة النورماندي ولا الى جراحات رومل .

واعرب الدكتور غوبلز وزوجته هما الاخران، للارملة عن شعورهما بالاسى العميق . وقال جواشيم فون ريبنتروب انه جد متأثر بوفاة رومل « بسبب الجراح التي اصيب بها في فرنسا »، واكد لارملته ان انتصاراته ستبقى مخلدة في تاريخ هذه الحقبة العظيمة من تاريخ المانيا .

وكتب كيسلرنغ بعد حين : « لم اكن دائماً على اتفاق مع رومل ،

وما كان هو الآخر يفهمني دائماً... ولكنني سررت حين بلغني نبأ تعيينه في مركز مهم في الجبهة الغربيةلان تجربته في محاربة الانكليز والاميركان كانت ثمينة جداً ... ولقد افدنا من سرعة خاطره وجرأته وبعد نظره فاجتنبنا مآزق كثيرة. »

وكتب الجنرال غامبارا ، وهو واحد من خيرة اكابر الضباط الطليان يقول سيبقى رومل ابداً ، حياً في قلوب الذين تشرفوا بمعرفته ورأوا فيه الرجل الهادىء الجبار يتحدى الموت ويزدري الخوف في جحيم الحرب. »

واصدر المارشال مودل ، خلف فون كلوغه في قيادة الجبهة الغربية العليا ، امر يومياً وصف فيه رومل بأنه واحد من اكبر اكابر القادة الالمان ، وجندي من الجند واجرأهم لا قرين له في الاقدام وصفاء الذهن والعزم ، ومضرب الامثال في اقتحام الخطر ... »

ولوحظ ان بعض القادة نسوا ان يرسلوا برقيات تعزية وفي طليعتهم كايتل ويودل . وكانت تعزية هملر غريبة اذ اوفد معاونه بيرندت الى السيدة رومل حاملا رسالة شخصية من هملر. وقد ادعى الرسول ان هملر يعرف قصة مصرع رومل ، وانه يستنكرها وما كان يرضى بأن يغمس يده فيها ! وكان ان طرده غوبلز من وزارة الدعاية بعد ان كرر ما قاله رومل من ان المانيا خسرت الحرب .

وبعد حين ، قبل ان يقتل هو الآخر ، كتب من الجبهة رسالة غريبة يقول فيها ان مصرع رومل قد ادى خدمة عظيمة لالمانيا اذ فتح عينيها ، ولكنه لا يعتبر هتلر المسؤول عن مصرعه. ولكن ان يكن هتلر لم يلطخ يديه بدم هملر فمؤكد انه كان يعرف ان كايتل ويودل اللذين يتهمهاه بتدبير المؤامرة ما كانا يستطيعان التخلص من هملر دون امر من هتلر، ولا تشك اسرة رومل واصدقاؤه البتة في ان الكلمة الحاسمة في تقرير مصير رومل

كانت لهتلر نفسه ...

شيع جثمان رومل في الثامن عشر من تشرين الاول، وكان الاحتفال عظيماً شاملا . فقد امر هتلر بالحداد الوطني ، ودفن رومل بالمراسيم العسكرية الشريفة اللائقة بقائد عظيم من مقامه . وحمل النعش ملفوفاً بعلم هائل فيما كان الحرس بالخوذ الفولاذية والقفازات البيض يؤدون التحية .

ووضعت المنصة في دار بلدية «اولم» في حجرة كبيرة للاستقبال ازدانت بالاعلام والنسور والغار . ووضعت على المنصة خوذة رومل وعصا المارشالية وسيفه، ورصفت نياشينه ورفيع اوسمته وحجرها الكريم يتألق ويشع اشعاعاً خاطفاً . ووقف اربعة ضباط من حول المنصة يحملون بيرق الفيلق الالماني الافريقي . ولما بدأ الاحتفال حل محلهم اربعة جنرالات من الجيش الالماني .

وتدفق كبار المشيعين من كبار القادة واركان الحزب وممثلي حلفاء المانيا . ووصل اخيراً المارشال فون رونشتيد ارفع ضابط في الجيش الالماني اطلاقاً ، وقد مشى خلفه اركان اسرة رومل . وتلا فون رونشتيد كلمة تأبين باسم الفوهرر . ووضع باسم ادولف هتلر اكليلا عظيماً من الزهور عند قدمي رومل .

ثم نقل النعش من دار البلدية الى المحرقة على عربة مدفع . وفي المحرقة تليت الخطب وكررت مراسيم التشريف للقائد الكبير الراحل . وكان الاميرال روج قد حضر من برلين بقطار خاص ليمثل الاسطول الالماني في الاحتفال. وقد رابه تصرف فون رونشتيد في دار البلدية وغيابه عن الاحتفال في المحرقة واخذ الشك يتطرق اليه في ظروف مصرع رومل .

بعد الاحتفال بحرق الجثمان اعيد الرماد الى هيرلنغن . وفي مقبرة البلدة خصص لرومل مكان هادىء في زاوية مزدهرة دفنت فيه بقاياه

بحضور اصدقائه وافراد اسرته .

عرفت ارملة رومل معركة كافية فتجرأت وسألتها عن شعورها وهي واقفة امام ضريح زوجها ، وقلما يتجرأ امرؤ ان يسأل ارملة عن هذا الشعور، وهل راودتها نفسها ان تثير فضيحة وتكشف عن قتلة زوجها ، فقالت :

« اكتمك انني استطعت بشق النفس ان ادفع حافزاً قوياً لا يقاوم ، كان يهيب بي ان اعلن الحقيقة على الملأ واكشف السر وليكن ما يكون ... ادركت ان البلاء وقع ولا سبيل الى دفعه . وفكرت في مصير ابني مانفريد ، واشفقت ان يدنس المجرمون رفاة زوجي في خاتمته، فكبت المي وكظمت غيظي وانقذت ولدي . »

تم كل شي وفق الخطط المرسومة ، وما كان الا لرقيب ثاقب النظر ان يشك في ما يجري ويتساءل عن سبب تأتأة المارشال فون رونشتيد مراراً وهو يلقي خطاب التأبين كأنه لم يقدم اليه الا قبل لحظات ، وعن سبب اجتنابه توجيه كلمة واحدة الى ارملة رومل . وما كان الا لرقيب ثاقب النظر ان يتساءل : لم رفع فون رونشتيد حاجبيه حين مر امام شترولن وفون نوراث و نظر اليهما تلك النظرة الغريبة .

قال لي شترولن : « لم اشك في ان فون رونشتيد عرف الحقيقة او حزرها حين نظر اليّ تلك النظرة . كان فون رونشتيد يقوم بهذا الدور كارهاً مستنكراً .

استغرب بعضهم ما يجري في الاحتفال وانتقدوا بعض التصرفات ودهشوا لبعض الظواهر . ولكن الشك لم يعم الصفوف ولا تخطى اندية الحزب النازي والقيادة العليا . وكانت كثرة الالمان تعتقد ان رومل انما مات من اثر جراحه . وقد بكته مرّ البكاء .

سألت الكابتن هارتمن في هايدنهايم : هل شك بامر موت رومل فقال: «كلا لم اشك اول الامر . ولكن حدث بعد دفن رومل ببضعة ايام ان كنت اتنزه مع صديق ، فالتفت الي فجأة وسألني عما اعرفه من ظروف موت رومل لان ثمة اموراً غريبة ظلت لغزاً من الالغاز . فجعلت اعمل الفكر : رأيت رومل قبل موته فاذا وجهه لا ينم الا على الاطمئنان والصحة بعدما شفي من جراحه وتحدثنا عن الحرب العالمية الاولى فاذا هو يتذكر جميع الاسماء وجميع التآريخ . وبدا لي من حديثه انه لا يطمع في الحصول على مركز قيادة جديد لان غورنغ يعارضه وكذلك القيادة العليا . وكان الى هذا واثقاً بان المانيا خسرت الحرب . ولكني لم اتبين من حديثه ما ينم على قلق او خوف على حياته . وظل هارتمان بين الشك واليقين الى ان عرف الحقيقة سافرة في نيسان ١٩٤٥ من ارملة رومل نفسها .

سارت الحياة عادية بعد ذلك في منزل ررمل . ولم يضايق الارملة الا حادثان احدهما سحب احد خدمها من الجنود بامر من القيادة مرتين متواليتين ثم اعلان مصرعه في احد الميادين ، وفي ذلك ما أثار الريب في مصرع الجندي اذ كان هو الذي يتلقى المخابرات في المنزل ومنها مخابرة الجنرال بورغدورف للمارشال رومل قبيل مصرعه والحادث الاخر ضبط اثنين من الحرس الاسود مختبئين في المنزل وقد شغل الحادثان الارملة طويلا واثار قلقها على حياة ابنها وهو العارف كثيراً عن ظروف مصرع والده .

حدثني مانفريد عن مخاوفه من ان يكون هو الآخر عرضة للانتقام ولم يكتم عني انه احس بالخطر اكثر من مرة يقترب منه واراد في النهاية ان ينجو اذ شك بان رئيس فوجه يتربص به الدوائر ، فاعتزم ان يستسلم للاميركيين حين وصلوا الى «اولم» وحين ايقن ان والدته بامان .

وكان من حسن حظه انه لم يقتل اذ كان الحرس الاسود يشنق على الاشجار كل جندي هارب . وقد اعتقل مانفريد واستنطق ولكنه كان قد اعد حجته فزعم انه وقع في اسر الفرنسيين في القرية المجاورة ثم استطاع ان يهرب منهم . وقد صدقه جماعة الحرس الاسود فنجا من بطشهم .

ولم يلبث مانفريد ان وقع في الاسر فاحسن الفرنسيون معاملته . ولما عرف الجنرال ديلاتر دي تاسيني انه ابن الماريشال روميل عينه ترجماناً وسأله عن اخبار والدته .

اما العجيب فهو نجاة الدينغر وشترولن من المطاردة والاعتقال مع انهما مشتركان بكثير من الاحداث ومنها المؤامرة لقلب الحكم ولعل الدينغر استطاع ان يضلل الغستابو . اما شترولن فلعل حب شعب شتوتغارت له وشهرته في الخارج وصداقته لمفوض الشرطة السابق هاهن قد شفعت به فلم يقع في الفخ .

اما هرب الجنرال سبيدل فمن اعجب واغرب ما عرف حقاً . استنطق سبيدل في سجن البريشتراسه واقتنع الغستابو بان له ضلعاً في المؤامرة . ولا بد ان اسمه كان في قائمة الذين وشى بهم غوردلر بعد تعذيبه . فكيف لم يشنق على الفور ؟

قال لي سبيدل : «اظن ان سبب نجاتي من الاعدام هو انني كنت قوي الحجة سريع الخاطر متين الاعصاب اثناء استنطاقي . ولقد مررت بمازق حرج جداً حين واجهوني بالكولونيل فون هوفاكر من اركان حرب الجنرال فون شتولبناغل . كنت اعرف ان الرجل لا بد ان يكون قد وشى بالشركاء بعد تعذيبه ولكني شددت من عزيمتي وحملقت في عينيه لحظة فغلبته فرجع عن اقراره وزعم ان مستنطقيه ربما اخطأوا في فهم شهادته . »

نجا الجنرال سبيدل من استنطاقين خطرين في سجن البريشتراسه ومن عدة استجوابات اخرى اقل منها شأناً . ولقد كان دائماً حاضر الذهن متأبطاً حجته واعياً لكل ما يقول لا يترك مجالا لمأخذ عليه . وقد بلغ من حدة الذكاء مبلغاً جعله يفحم جماعة الغستابو ويتسلط عليهم فينجو من موت محقق . بل انه استطاع ان يقنعهم بانه يستحيل ان يكون رومل قد اشترك بمؤامرة العشرين من تموز ١٩٤٤ . ولكن انى له ان ينقذ رومل وقد تضافرت عليه الاحقاد وكثرت السكاكين تمزق جلده. ولعل قتلته لم يريدوا قتله لخيانته بقدر ما ارادوا التخلص منه لانه كان مصيباً في افريقيا ثم في النورماندي واثبت ان كايتل ويودل كانا هما المخطئين . ولقد يكون من اسباب الاغضاء عن الجنرال سبيدل رئيس اركان حرب رومل ، انه لو شنق لربما قام الشك في حقيقة موت رومل.

هكذا بقي الجنرال سبيدل سبعة شهور يروغ من مستنطقيه ولكنهم لم يفرجوا عنه . ولما صارت الحرب في اسابيعها الاخيرة كان سبيدل مع سجناء آخرين في اورنا ، قرب بحيرة كونستانس ، بحراسة خفراء يقودهم ضابط من الحرس الاسود .

ايقن سبيدل ان مهمة هذا الضابط كانت منع وقوع الاسرى احياء في ايدي الحلفاء ، فاجتهد في ان يجتنب هذا المصير . وتواطأ مع مدير السجن فزوّر برقية باسم هملر نفسه يأمر فيها ضابط الحرس الاسود بان يستعد لنقل اسراه الى مكان امين ، ويدعوه الى الاتصال هاتفياً بمقر هملر ليتلقى تعليمات اخرى . ولكن هاتف السجن كان معطلا ، فاضطر الضابط ان يذهب الى مكان آخر ليخابر مقر هملر . وفي اثناء غيابه سهل مدير السجن سبيل الهرب للجنرال سبيدل وعشرين اسيراً آخرين . واختبأ الهاربون في حمى كاهن ، وقبل ان تتاح للضابط فرصة اكتشاف

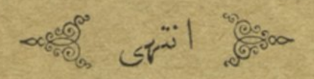
مقرهم كان الاميركان قد احتلوا المنطقة..

بهذا تختم قصة رومل. على اني اعود القهقرى بضعة اسابيع لاروي ما قد يكون اغرب فصول هذه القصة. ففي اوائل آذار ١٩٤٥ اذ بدأ كل شيء ينهار في المانيا، تلقت ارملة رومل رسالة مؤرخة بالسابع من آذار من رئيس دائرة مقابر الحرب، وفيها:

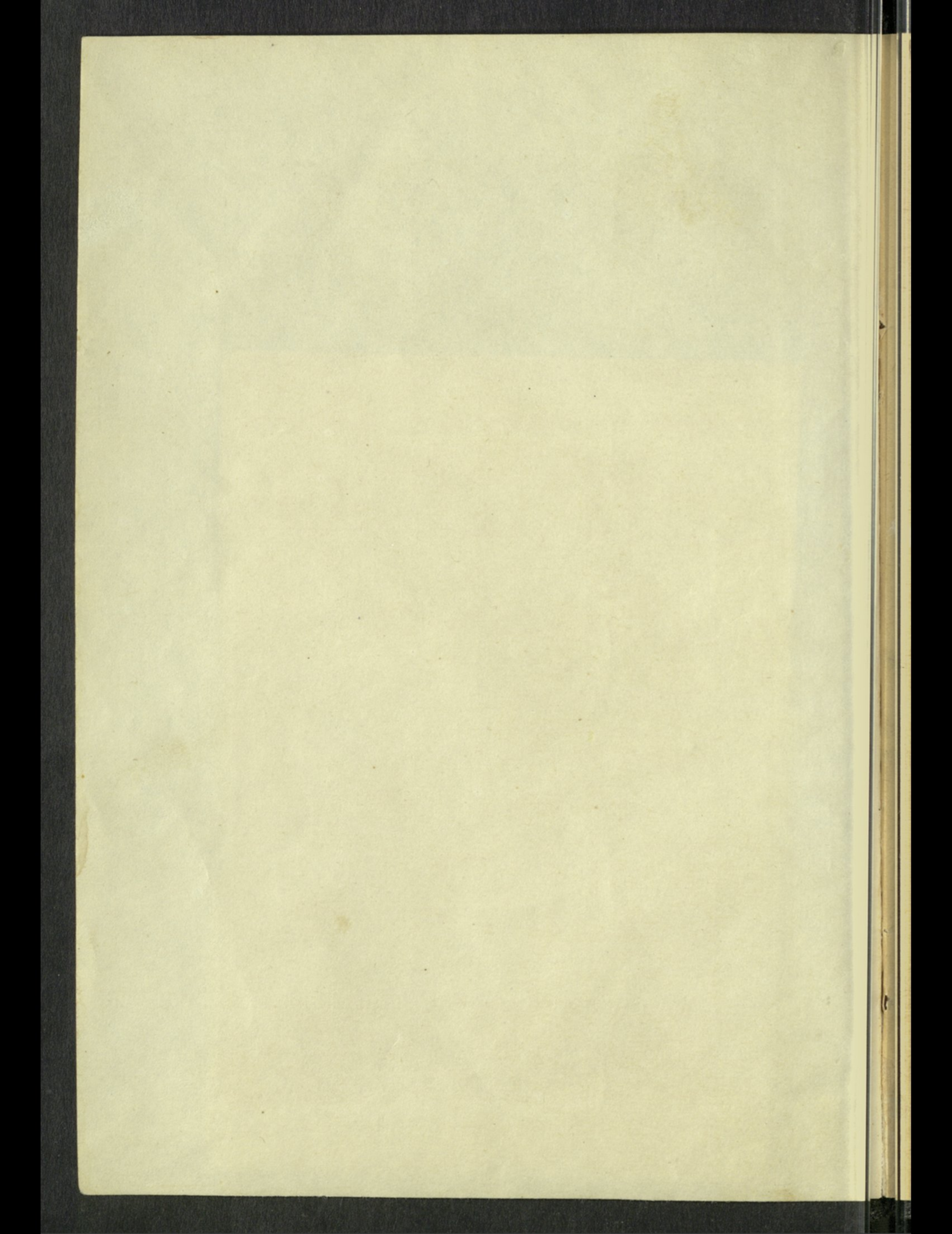
« امرني الفوهرر، يا سيدتي، بان اقيم نصباً لذكرى فقيدنا المارشال رومل. وقد طلبت الى بعض النقاشين ان يقدموا لي مشاريعهم لاقامة هذا النصب، وترين مع كتابي هذا بعض النماذج. على انه من المحال ان نقيم النصب او ننقله في هذه الايام، فلا اقل من ان نصنع نموذجه... واحسب، يا سيدتي، ان الاسد هو اصلح رمز للمارشال الفقيد. ولقد اقترح احد النقاشين ان يكون الرمز اسداً يحتضر، واقترح آخر اسداً يبكي. اما الثالث فيقترح ان نرمز الى المارشال، رحمه الله، باسد يتحفز للوثوب... وهذا الرمز الاخير هو ما افضله. اما اذا فضلت عليه الاسد المحتضر فسأتدبر الامر ...

« اما الضريح فنستطيع ان نشيده على الفور لان عندي اذناً بذلك من وزير الرايش شبير. ولئن يكن انشاء الاضرحة بالحجر محظور في هذه الايام على العموم، فاننا نستطيع في هذه الحالة الاستثنائية ان نبني ضريحاً من حجر ونسرع في انشائه ... »

... ولم تجب ارملة رومل على هذا الكتاب.




الدار العالمية للطباعة والنشر — شارع القبيات — بيروت



DATE DUE

27 MAY 1986

JAFET LIB.
23 JAN 1997
Circulation Dept. 2

JUN 1986

JAFET LIB.
21 APR 1988

JAFET LIB.
JAN 1997
Circulation Dept. 2

923.543:R76yA:c.1
دقاق، باسيل
رومل على ابواب الشرق
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01050862

American Universit[illegible]

923.543:R76yA
يونغ
رومل على ابواب الشرق .

| DATE | Borrower's Number | DATE | Borrower's Number |
| --- | --- | --- | --- |

923.543
R76yA

923.543
R76yA